الاتجاهات المذهبية في اليمن

حتى نهاية القرن الثالث الهجري

(٦هـ / ٦٢٧م) - (٣٠٠هـ / ٩١٢م)

دكتور محمد عيسى الحريري

عالم الكتب

الاتجاهات المذهبية
في اليمن
حتى نهاية القرن الثالث الهجري

الطبعة الثانية
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م



عالم الكتب
للطباعة والنشر والتوزيع
ص. ب: ٨٧٢٣ - ١١، بيروت - لبنان
تلفون: ٨١٩٦٨٤ - ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٦٠٣٢٠٣
برقياً: نابعلبكي
فاكس: ٦٠٣٢٠٣/١/٩٦١/٠٠

WORLD OF BOOKS
FOR PRINTING, PUBLISHING AND DISTRIBUTION.
P.O.BOX: 11 - 8723, BEIRUT, LEBANON
TEL: 819684, 306166, 315142, 603203
CABLE: NABAALBAKY
FAX: 00/961/1/603203

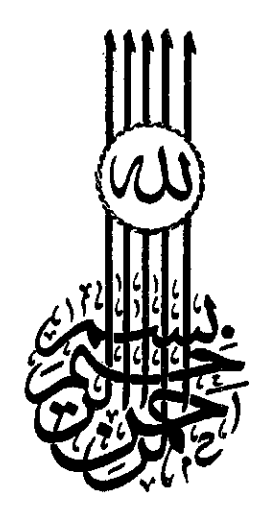
الاتجاهات المذهبية في اليمن

حتى نهاية القرن الثالث الهجري

(٦هـ / ٦٢٧م) - (٣٠٠هـ / ٩١٢م)

دكتور محمد عيسى الحريري
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة
وكيل كلية الآداب
جامعة المنصورة

عالم الكتب


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى كل ذرة في تراب اليمن الحبيب
إلى أحبائي وأصدقائي وزملائي أساتذة
جامعة صنعاء ـ إلى أهل اليمن الذين
غمروني بحبهم ـ أهدي هذا الكتاب
محمد الحريري

الحمد لله

فاتحة كل خير

وتمام كل نعمة

المقدمة

عاشت اليمن في أحضان الأمة الإسلامية، ومنذ اللحظات الأولى في تاريخ الإسلام وأهل اليمن يشاركون بحماس بالغ في صنع أحداث هذا التاريخ، وصاغوا بشكل واضح كثيراً من معالم الحضارة الإسلامية، سواء في اليمن نفسها، أو في الأمصار الإسلامية الأخرى، وكانت سواعدهم الفتية في ميادين القتال من أهم عوامل النصر لهذه الأمة، كما كان نتاج قرائح علمائهم الحادة لبنات مضيئة في صرح الحضارة العربية الإسلامية، فغدت اليمن مركزاً من أهم مراكز الحضارة الإسلامية على مر العصور وتعاقب الأزمان. لذا واكبت اليمن أحداث العالم الإسلامي فكراً وحضارة وسياسة، وتلازمت هذه العناصر مع مثيلاتها في أنحاء العالم الإسلامي.

وقد أثار هذا الأمر انتباهي، فكانت هذه الدراسة المتأنية عن الاتجاهات المذهبية في اليمن حتى نهاية القرن الثالث الهجري. وأثبتت هذه الدراسة في جملتها أن أهل اليمن لم يقفوا في صف التطرف، وإنما مالوا إلى الاعتدال، وناضلوا فكرياً من أجل هذا الاعتدال، وكان على قمة المناضلين من أجل هذا الاعتدال علماء أهل السنة وعلماء الزيدية وفقهاؤهم فعلى سبيل المثال، تعددت مؤلفات أئمة الزيدية وعلمائهم لمناهضة الفكر الشيعي المتطرف بجميع تكتلاته، وسلحوا أنفسهم بأسلحة علم الكلام ـ الذي استغلوه في هذا المجال أبرع استغلال ـ . كما استطاع العلماء السنيّون وأصحاب الاتجاه السني، أن يخلقوا حالة من الوعي الداخلي لدى أهل اليمن، هذا الوعي أعطاهم الوسائل التي

يستطيعون أن يواجهوا بها المذاهب الوافدة، ويحدوا من انتشارها، وأن يقوضوا دعائمها، وهيأت ضخامة التراث السني ـ الذي انتجه فقهاء أهل السنة وعلماؤهم ـ الظروف كثيراً لذلك. وعن طريق اتصال الزيدية بهذا الفكر السني ومدارسته في بيئاتهم العلمية، أصبح المذهب الزيدي قريباً من مذهب أهل السنة، مما ضمن له البقاء جنباً إلى جنب مع مذهب أهل السنة حتى الآن.

د. محمد عيسى الحريري

القاهرة ـ المهندسين:
١٠ إبريل ١٩٩٦ م
٢٢ من ذي القعدة ١٤١٦ هـ

الفصل الأول

اليمن قبيل ظهور الاتجاهات المذهبية

أصبحت بلاد اليمن ولاية إسلامية منذ اعتناق أهلها للإسلام في العام السادس للهجرة الذي يوافق سنة (٦٢٧ م)، وهو تاريخ اعتناق باذان آخر عمال الفرس على اليمن للإسلام [١] . وعلى أثر ذلك أرسل رسول الله ﷺ عماله إلى اليمن، فكان منهم أبو موسى الأشعري الذي عهد إليه الرسول ﷺ بحكم زبيد ورمع مع بلاد الأشاعر وعدن والساحل [٢] . وفي نفس الوقت أسند ﷺ إلى باذان حكم صنعاء ومخاليفها، وبعد وفاة باذان أسند أمرها إلى شهر بن باذان [٣] ، كما أرسل الرسول الكريم بعض الصحابة في مهام أخرى، فكان منهم معاذ بن جبل الذي عهد إليه بقضاء اليمن وصلاتها وصدقاتها، وكان مما قاله ﷺ له: «يا معاذ: أوصيك بتقوى الله، وآداء الأمانة، وتوقي الخيانة، وعليك بحسن الخلق، يا معاذ جالس المساكين والفقراء، وكن لليتيم كالأب الرحيم، وللأرملة كالزوج الصالح، يا معاذ علم الجاهل، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، واصبر على ما أصابك،

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، طبعه دار صادر بيروت ١٩٧٩، ج ٢، ص ٢١٤، ٢١٥.

(٢) الخزرجي: العسجد المسبوك، طبعة وزارة الأعلام والثقافة اليمنية ١٩٨١، ص ٨، الجرافي: المقتطف من تاريخ اليمن، طبعة ثانية بيروت ١٩٨٤، ص ٥٤ (رِمَع: بكسر أوله، وفتح ثانيه، واد مشهور من أودية اليمن التي تصب في البحر الأحمر، ورِمَع قرية أبي موسى الأشعري من اليمن قرب غسان وزبيد، انظر، الأكوع: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، طبعة وزارة الأعلام والثقافة، الطبعة الأولى ١٩٨٤، جـ ١، ص ٣٧٠، ياقوت: معجم البلدان، طبعة دار إحياء التراث العربي ببيروت، جـ ٣، ص ٦٨، ٦٩.

(٣) ابن الأثير: الكامل، جـ ٢، ٢١٤، ٢١٥، الجرافي: المقتطف، ص ٥١.

ولا تأخذك في الله لومة لائم [١] . كذلك أرسل رسول الله ﷺ في أواخر أيامه، المهاجر بن أمية إلى صنعاء، وزياد بن لبيد إلى حضرموت، وخالد بن الوليد، وعلي بن أبي طالب إلى نجران [٢] ، وقد قام هؤلاء وغيرهم من صحابة رسول الله ﷺ الآخرين الذين أُوفدوا إلى اليمن أيضاً كالبراء بن عازب، وخالد بن سعيد بن العاص، والطاهر بن أبي هالة، وعمرو بن حزم، وعكاشة بن ثور، وجرير بن عبد الله البجلي، ووبر بن يحنس [٣] ، بإنجاز المهام التي أوكلهم بها الرسول ﷺ دون صعاب أو عقبات، ولم ينتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى حتى كان معظم أهل اليمن قد دخلوا في الإسلام وحسن إسلامهم [٤] .

وخلال عهد الخلفاء الراشدين، قام أهل اليمن بدورهم الذي يذكر لهم في الفتوحات الإسلامية في العراق وفارس والشام ومصر، وغيرها من البلدان في ذلك الوقت [٥] ، .وأصبحت القبائل اليمنية تشكل عصباً حساساً في الجيوش الإسلامية الحامية لهذه البلاد المفتوحة، وغدت هذه القبائل اليمنية تشارك أيضاً بفكرها في قضايا المعترك السياسي، وتدلي بدلوها في المشكلات التي واجهت الخلافة الإسلامية، بل وتقف من هذه المشكلات موقف القابل أو الرافض لها المتنازع عليها، فقد شارك بعض اليمانية في مصر والعراق في التذمر والنشاط المعادي، الذي أسفر عن خلع عثمان بن عفان وقتله [٦] . بل إن هذه القبائل اليمنية العاملة

---

(١) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١٠، ١١.

(٢) المصدر السابق، ص ١٢، ١٣، ١٤.

(٣) الجرافي: المقتطف، ص ٥٣، ٥٤.

(٤) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ٦، د. عصام الدين عبد الرؤوف: اليمن في ظل الإسلام، طبعة دار الفكر العربي، ص ١٩، ٣٥.

(٥) ابن الأثير: الكامل، جـ ٢، ص ٤٥١، ٤٥٢، البلاذري: فتوح البلدان، طبعة دارالكتب العلمية بيروت ١٩٧٨، ص ١١٥.

(٦) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ١٥٨، (من أعلام اليمانية الذين اشتركوا في هذا النشاط وذكرهم ابن الأثير عبد الرحمٰن بن عديس البَلوي من بَلِي، وسودان بن حمران السَّكوني، وقتيرة بن قلان السكوني أيضاً، وكلاهما من السكون، وكان الغافقي بن حرب العكي من عَكّ أميراً على الجمهرة الخارجة من مصر إلى عثمان، المصدر السابق، نفس الصفحة، الخضري: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، طبعة المكتبة التجارية، جـ ٢، ص ٤٠.

في الجيوش العربية خارج اليمن والمستقرة في البلاد المفتوحة، لم تنضم بكليتها إلى أي طرف من الأطراف، أيام النزاع بين الإمام علي رضي اللّه عنه ومعاوية بن أبي سفيان، بل كان من هذه القبائل اليمنية من ناصر علياً، ومنها من ناصر معاوية، أما التي ناصرت علياً فهي قبائل هَمْدَان وَمذْحج وأرْحب ويام [١] . بينما بقية القبائل اليمنية انحازت إلى جانب معاوية وحاربت معه في معركة صفين، وكان من هذه القبائل كندة ولخم ويحصب وذو الكُلاع وعكْ والأشعريون [٢] .

ولكن أين بلاد اليمن من هذا المعترك السياسي، وهذه الأحداث الكبرى؟. لقد كانت اليمن في ذلك الوقت بعيدة عن الأحداث الجسام [٣] ، كما أنها كانت بمعزل عن الاتجاهات الفكرية والسياسية التي كانت محوراً لهذا الصراع الدائر هناك في العراق والشام، وظل ذلك الوضع الهادىء في اليمن حتى حسم الأمر لصالح بني أمية وأصبحت بلاد اليمن ولاية أموية جرى عليها ما جرى على الولايات الأخرى من سياسة الأمويين، فمن الناحية الإدارية كانت اليمن قبل قيام الدولة الأموية تابعة من الوجهة الشرعية لسلطة الخليفة علي بن أبي طالب ـ رضي اللّه عنه ـ وبانتقال الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان، بادر هذا الخليفة الجديد ـ وكان ذلك في سنة (٤٠ هـ/ ٦٦٠ م) ـ إلى إرسال حملة من ثلاثة آلاف مقاتل، وعلى رأسها بُسر بن أرطأة العامري الوالي الأموي الجديد من قبل بني أمية على اليمن [٤] . وكانت لديه أوامر مشددة بتتبع أصول القبائل اليمنية التي وقفت بالأمس إلى جانب الإمام علي ـ على الرغم من أن أصول هذه القبائل لم يكن لها أي دور إيجابي في هذا الخلاف وإنما كانت تراقب الأحداث من بعيد وفي هدوء شديد ـ وكانت همدان أقوى هذه القبائل التي وقفت مع علي بن أبي طالب ـ رضي اللّه عنه ـ وساندته في قضيته، ولذلك نال أبناء هذه القبيلة الكثير من عسف بُسر بن أرطأة ـ عامل معاوية ـ حتى إنه أسرف في استعمال سلطته في بلدة همدان

---

(١) أحمد حسين شرف الدين: تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن، مطبعة الكيلاني ١٩٦٨، ص ٣٥.
(٢) المرجع السابق، ص ٣٦.
(٣) المرجع السابق، ص ٣٥.
(٤) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ٢٠.

فيروي أنه ضرب بموضع (المصرع) من الأبناء اثنتين وسبعين رقبة، حتى سمّي هذا الموضع باسم المصرع [١] . وكان كما قال يحيى بن الحسين: «أول جبار دخل اليمن في الإسلام وظلم أهله واستحل المحرمات» [٢] .

والمصادر اليمنية تلوذ بالصمت المطبق، فلا تتحدث كثيراً عن اليمن في ظل بني أمية واكتفى معظم المؤرخين برصد أسماء ولاة بني أمية على اليمن، ولم يذكروا شيئاً البتة عن سياسة الأمويين في اليمن، وعلاقة أهل اليمن بهم، وكذلك لم تنل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية شيئاً من عنايتهم في هذه الفترة، ولكن الواضح من سياسة هؤلاء العمال تشددهم مع أهل اليمن بصفة عامة، فيروي صاحب بهجة الزمن أن بجير بن زين الحميري كان والياً عاتياً متجبراً على أهل اليمن [٣] . وكان معاوية قد قسم اليمن إلى وحدتين إداريتين كبيرتين هما: مخلاف صنعاء، ومخلاف الجند ليسهل بذلك تبعية اليمن إدارياً للدولة الأموية، وأسند يزيد بن معاوية كلا المخلافين لبجير بن زيان الحميري حيث «قاطعه عليهما بمال عظيم في كل سنة يرسله إليه» [٤] . وربما كانت هذه أول إشارة إلى نظام الإقطاع في الجباية في اليمن، ويبدو أيضاً أن بُجير تعسف كثيراً في جمع الأموال المطلوبة لبني أمية، فقد كان عليه أن يقدم مع الجباية سبعين رأساً من الرقيق، وقد كان كما وصفه صاحب الأغاني أيضاً: جباراً عاتياً بذّالاً للمال» [٥] .

وقطعت ثورة عبد اللّه بن الزبير سنة (٦٠ هـ/ ٦٧٩ م) هذه الأحداث في اليمن، التي أصبحت خلال هذه الثورة ولاية تابعة لابن الزبير الذي أرسل العمال من قبله إليها، ولكن الذي يلاحظ أن اليمن لم تشهد حالة من الهدوء والاستقرار السياسي والإداري، حيث غلب على هذه الفترة كثرة الولاة من قبل ابن الزبير، فلم

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٠، ٢١، الجرافي: المقتطف، ص ٥٨.

(٢) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، تحقيق: د. سعيد عبد الفتاح عاشور، دارالكتاب العربي بالقاهرة ١٩٦٨، جـ ١، ص ٩٧.

(٣) عبد المجيد اليماني: بهجة الزمن، طبعة ١٩٦٥، (ذكر الخزرجي أن اسمه بجير بن ريشان الحميري، الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ٢١.

(٤) عبد المجيد اليماني: بهجة الزمن، ص ٢١.

(٥) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ١٠٠.

تطل مدة أي منهم، وذلك واضح من تعاقب ولاة ابن الزبير على اليمن الواحد تلو الآخر في مدد متقاربة جداً، «فاستعمل ابن الزبير الضحاك بن فيروز فمكث سنة، ثم عزله بعبد اللّٰه بن عبد الرحمٰن بن خالد ابن الوليد، فولي سنة، ثم عزله بعبد اللّٰه بن أبي وداعة السهمي فمكث سنة وثمانية أشهر، ثم عزله بأخيه عبيدة بن الزبير، فمكث خمسة أشهر وعزله وولي قيس بن يزيد السعدي أخو بني تميم فمكث عشرة أشهر، ثم عزله، واستعمل ولاة كان الرجل منهم يلي أربعة أشهر أو خمسة أشهر ويعزله حتى قتل عبد اللّٰه بن الزبير» [١] .

وخلال تبعية اليمن لابن الزبير كانت حركة الخوارج قد استفحل أمرها في شرق الجزيرة العربية، حيث استولى ابن عامر الحروري الخارجي على اليمامة والبحرين وعمان وهجر [٢] . وأغراهم ذلك بالاتجاه نحو اليمن، وبالفعل اتجهوا بعد ذلك إلى صنعاء سنة (٦٧ هـ/ ٦٨٦ م)، فجمع وهب بن مُنبه ـ كما تذكر بعض المصادر [٣] ـ أهل صنعاء وحرضهم على قتال الخوارج، فقالوا: «ليس لنا طاقة بقتالهم وإنا لنخشى أنهم يستحلون سبي أولادنا، ثم أنهم صالحوهم على مائة ألف دينار، واستعانوا بأهل المخاليف على تسليم المال فأعانوهم» [٤] .

والوالي على اليمن في هذه الفترة يصعب تحديده لأن المصادر تشير إلى اضطراب أهل اليمن منذ ذلك الوقت فلم «يزل (اليمن) مضطرباً إلى أن قتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين [٥] ». وواضح أن اليمانية تصرفوا هذا التصرف مع الخوارج في غيبة عامل ابن الزبير، وعجزه عن مواجهة الخوارج، كما أنهم ـ أهل اليمن ـ لم يتجاوبوا مع طلائع الفكر الخارجي الذي بدأت تطرق أبواب اليمن في محاولة لبث مذهبهم المعارض لبني أمية، والنص السابق يشير إلى أسباب رفض

---

(١) عبد المجيد اليماني: بهجة الزمن، ص ٢١، ٢٢، وانظر النص بخلاف في اللفظ عند يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ١٠٤، ١٠٥.

(٢) الآنسي الصنعاني: إتحاف ذوي الفطن بمختصر أنباء الزمن، منشورات جامعة صنعاء ١٩٨١، ص ٨.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة، الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ٢٢، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ج ١، ص ١٠٧.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ٢٢.

أهل اليمن لأفكار الخوارج التي كانت شديدة التطرف في ذلك الوقت، حيث كانوا يحكمون على مخاليفهم بالكفر، ويستحلون دماءهم وأموالهم وسبي نساءهم وأطفالهم، ولا يصححون مناكحتهم أو التعامل معهم، كما أنهم كانوا يقولون بأن مرتكب الكبيرة كافر كفر ملة ولذلك فهو خالد في النار [(١)] . يضاف إلى ذلك أنهم كفروا علياً ـ رضي اللّه عنه ـ وغيره من الصحابة كعثمان، وطلحة والزبير وعائشة، وعبد اللّه بن عباس، وسائر المسلمين معهم، وقالوا بخلودهم في النار [(٢)] . وهذا كان أمراً بالغ الصعوبة على اليمنيين الذين أحبوا كثيراً الإمام علي ـ رضي اللّه عنه ـ وأهل البيت، فهذه المبادىء والأفكار كانت صدمة تمثل شيئاً غريباً عليهم.

وبعودة اليمن إلى حظيرة الدولة الأموية بعد القضاء على فتنة ابن الزبير، تولى أمر اليمن عدد كبير من الولاة كان معظمهم من أفراد الأسرة الثقفية [(٣)] . وهؤلاء أظهروا تشدداً واضحاً مع أهل اليمن، فكان منهم محمد بن يوسف الثقفي ـ أخو الحجاج ـ الذي «جمع المجذومين بصنعاء، وجمع لهم الحطب ليحرقهم فمات قبل ذلك [(٤)] » وقد عاني اليمنيون من غيره من الولاة الثقفيين أيضاً فذاقوا كثيراً من ألوان الشدائد والقسوة، حيث عامل هؤلاء الولاة الأهليين معاملة تنطوي على الجور والظلم [(٥)] .

وكانت مشاعر اليمنيين بالضجر والتذمر تظهر بين آونة وأخرى، ففي سنة (٩٩ هـ/ ٧١٧ م)، وفي خلافة عمر بن عبد العزيز جددت ولاية اليمن لعروة بن محمد السعدي، وتولى قضاء صنعاء وهب بن مُنبه، وقام كلاهما بتنفيذ الإصلاحات المالية والإدارية وغيرها التي أقرها عمر بن عبد العزيز في أثناء خلافته، وكان من بينها رفع اللعن عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي اللّه عنه ـ في جميع الآفاق، ووصل الأمر بذلك إلى صنعاء وأن يجعل

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت، ص ١٢١، ١٢٢.

(٢) المصدر السابق: ص ١٢٠، ١٢١.

(٣) الجرافي: المقتطف، ص ٥٩ ـ ٦١.

(٤) عبد المجيد اليماني: بهجة الزمن، ص ٢٢.

(٥) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ١٠٠.

مكانها في خطبة الجمعة (إن اللّه يأمر بالعدل والإحسان [١])، «وخطب الخطيب بها في جامع صنعاء، فقام إليه ابن محفوظ. . . وقال «قطعت السنة» قال (الخطيب): بل هي البدعة، فقال (ابن محفوظ) واللّه لأنهض إلى الشام فإن وجدت الخليفة قد عزم على قطعها لأضرمن الشام عليه ناراً» وخرج ابن محفوظ من صنعاء فلحقه أهلها إلى طرف القاع المعروف بالمنجل غربي صنعاء، فرجموه بالحجارة حتى غمروه وبغلته [٢] ».

لقد كانت بعض الشخصيات التي لها وزنها في مجالس الخلفاء من بني أمية تدرك حقيقة الوضع السياسي في اليمن، فنرى معمر بن يزيد الأسدي يقول: «دخلت على هشام بن عبد الملك (١٠٥ هـ/ ٧٢٣ م)، وعنده خالد بن عبد اللّه القسري، وهو يذكر طاعة أهل اليمن، فصفقت بيدي، وقلت: واللّه ما فُتحت فتنة في الإسلام إلا بأهل اليمن، هم قتلوا عثمان، وخلعوا عبد الملك بن مروان، وأن سيوفنا لتقطر من دماء آل المهلب [٣] ».

ولم يمض على هذا الحديث سنتان حتى ثار عباد الرعيني الحميري في سنة (١٠٧ هـ/ ٧٢٥ م)، في أثناء ولاية يوسف بن عمر الثقفي [٤] . وعلى الرغم من أن البعض تصور أنه من الخوارج، فإن الواضح أنه لم يكن بخارجي ينتسب إلى إحدى فرق الخوارج المعروفة [٥] . كما أن ما أشيع حوله من أنه الرعيني المنتظر ظهوره في آخر الزمان، وأنه منصور حمير، لا يعدو أن يكون زعماً لبني جلدته من حمير [٦] . ولم تكن ثورته إلا خروجاً على الإدارة الأموية المتمثلة في يوسف بن عمر الثقفي، الذي بادر إلى القضاء عليه وقتله هو وثلثمائة نفر من الثائرين معه [٧] . ويعلق يحيى بن الحسين على خروج عباد الرعيني وثورته بما

---

(١) المصدر السابق: جـ ١، ص ١١٦، ١١٧.

(٢) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ١١٧، الأنسي الصنعاني: إتحاف ذوي الفطن، ص ٩ مع خلاف في اللفظ.

(٣) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ١١٩.

(٤) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ٢٣.

(٥) د. محمد أمين صالح: تاريخ اليمن الإسلامي، مطبعة الكيلاني، الطبعة الأولى ١٩٧٥، ص ١٠٩.

(٦) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ١١٩.

(٧) الجرافي: المقتطف، ص ٦٠.

يؤكد وجهة النظر هذه بقوله: «فاستعجل في أمر كان له فيه أناة [1]».

وكما مارس ولاة بني أمية في اليمن هذه الألوان من الضغط السياسي والاقتصادي، فإنهم مارسوا أيضاً نوعاً آخر من الضغط وهو **الضغط المذهبي**، وهناك نصوص واضحة تشير إلى ذلك، فالمؤرخ الشَّرَفِي يذكر أن أهل اليمن كانوا: «على مذهب الجبر في الاعتقاد لاستحكام دولة بني أمية في جميع البلاد [2]». فهذه العبارة للشَّرَفِي تشير إلى تمذهب أهل اليمن أيام الأمويين بمذهب الجبرية، كما أنها تشير بوضوح إلى أن الأمويين فرضوا هذه الفكرة بقوتهم ونفوذهم في بلاد اليمن» حيث كان الأمويون يذيعون في الناس أن وصولهم إلى الحكم إنما كان بقضاء من اللَّه وقدره، ولا حيلة للناس في دفعه، وادعى معاوية أنه احتكم هو وعليّ إلى اللَّه فنصره اللَّه على عليّ، وادعى خلفاؤه وولاتهم أن من قتلوهم من الأئمة والمعارضين إنما قتلهم اللَّه [3].

وكانت النتيجة الطبيعية لهذه الضغوط السياسية والاقتصادية والمذهبية أن تظهر في اليمن بوادر التشيع، وتقوي معالمها يوماً بعد يوم، وغدت هذه المعالم تغذي روح الانتماء - في المتشيعين لآل البيت في اليمن - إلى تجمعات الشيعة خارج اليمن وتتصل بها وتسير في فلك حركتها العامة.

ونتيجة لهذه الضغوط أيضاً أصبحت اليمن مرتعاً خصباً لتلقي أفكار الخوارج الأباضية ودعاتهم، وهذا يعني أن اليمن استقبلت في نهاية العصر الأموي، فكر المعارضة للأمويين بجناحيه الشيعي والخارجي، وإذا كان الاتجاه الشيعي حتى ذلك الوقت لم يكن أكثر من ميول ومحبة لأهل البيت، فإن الاتجاه الأباضي كان يحمل مذهباً وفكراً أباضياً منظماً.

---

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) الشرفي: قطعة منتزعة من كتاب شفاء صدور الناس، تحقيق: د. محمد الحريري، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد ٢٦ المجلد السابع ١٩٨٧، ص ٦٧.

(٣) الشرفي: قطعة منتزعة من كتاب شفاء صدور الناس، ص ٥٢.

الفصل الثاني

الاتجاه الأباضي

دأبت الحركة الأباضية التي تمركزت في البصرة، منذ مطلع القرن الثاني الهجري على نشر المذهب الأباضي في أطراف الدولة الأموية [1] ، وخلال العقد الثالث من هذا القرن كانت اليمن وحضرموت هي الأرض الجديدة التي تطلعت إليها عيون زعماء الحركة الأباضية في البصرة، وقام أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي ـ وهو من كبار زعماء الأباضية ـ بمهمة الاتصال بزعماء القبائل في منطقة

---

(١) (ينسب هذا المذهب إلى عبد اللّه بن أباضٍ المريْ التميمي، وكان أحد كبار زعماء الخوارج ويروي أنه في أعقاب الخلاف الذي نشب بين عبد الله بن الزبير والخوارج في مكة في سنة (٦٤ هـ) دبّ الخلاف بين زعماء الخوارج حول مبادىء هذا المذهب وضرورة إجراء تعديلات عليها، وانقسم الخوارج إلى قسمين نادى أحدهما بالجهاد وهو القسم الأول المتطرف الذي تهاوى تحت وطأة ضربات الأمويين، بقيادة نافع بن الأزرق وغيره من زعماء الخوارج المتطرفين، على حين ظل القسم الآخر المعتدل يتابع نشاطه في خطى وئيدة، وانقسم هذا الفريق المعتدل بدوره إلى قسمين، مال أحدهما بقيادة ابن أباض إلى مزيد من التسامح والآخر التزم بنوع من عدم التساهل مع المخالفين لهم فقال ابن أباض: «إن المخالفين إنما هم كفار بالنعم والأحكام لاكفار ملة، بمعنى أن المخالفين أبرياء من الشرك، وقرر بناء على ذلك أنه لا تحل دماؤهم. . .(كما كانت) القاعدة عندهم أن أرض أهل القبلة هي أرض توحيد لا أرض إيمان بمعنى أنها ليست أرض أعداء، وإنما تعتبر وطناً للجميع من الخوارج وغير الخوارج دون تمييز، وبفضل هذا التمييز الذي أدخله علماء الأباضية اعتبروا مرتكبي الحدود وجميع المقصرين في الشؤون الدينية موحدين لا مؤمنين، وكان هذا التمييز حدثاً هاماً في الحركة الخارجية، لأن الأزارقة اعتبروا الشرك واحد، وطبقوه على جميع المخالفين لهم في تطرف شديد»، انظر، د. إبراهيم العدوي: بلاد الجزائر، تكوينها الإسلامي والعربي، الأنجلو المصرية، ١٩٧٠، ص ١٦٤، ١٦٥، د. عوض محمد خليفات: نشأة الحركة الأباضية، طبعة ١٩٧٨، ص ٧٧، ٧٨).

حضرموت المتاخمة لعمان التي انتشر فيها المذاهب الأباضي، وأصبحت من أقوى معاقل هذا المذهب في شرق الجزيرة العربية، ووجد أبو حمزة في عبد اللّه بن يحيى ـ أحد زعماء كندة المشهورين في حضرموت ـ ضالته المنشودة، وتروي المصادر أن عبد اللّه بن يحيى التقى بأبي حمزة في موسم الحج في نهاية سنة (١٢٨ هـ/ ٧٤٥ م). [١] وكان أبو حمزة يذهب في كل عام إلى مكة المكرمة يدعو الناس إلى خلع مروان بن محمد وعصيانه والثورة على بني أمية [٢] . فسمعه عبد اللّه بن يحيى فقال له: «يا رجل اسمع كلاماً حسناً وأراك تدعو إلى حق، فانطلق معي فإني رجل مطاع في قومي [٣] » فخرج أبو حمزة معه إلى حضرموت، وهناك بايعه بالخلافة [٤] .

لما رأى عبد اللّه بن يحيى ـ طالب الحق ـ الجور باليمن، قال لأصحابه: «لا يحل لنا المقام على ما نرى [٥] » وكانت المبادىء الأباضية قد رسخت في عقيدته، ويذكر يحيى بن الحسين أن مراسلات تمت بين طالب الحق وبين زعماء الأباضية في عُمان وغيرها [٦] . بينما يذكر الأصفهاني أن طالب الحق كتب إلى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة زعيم الأباضية وشيخهم في البصرة [٧] .

على كل حال، كانت ردود شيوخ الأباضية في البصرة وعمان قوية شديدة تدعو إلى سرعة الحركة والثورة، وقالوا له: «إن استطعت ألا تقيم يوماً واحداً فافعل، فإن المسارعة إلى العمل الصالح أفضل، ولست تدري متى يأتيك

---

(١) ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ص ٣٥١، النويري: نهاية الأرب، تحقيق علي محمد البجاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦، جـ ٢١، ص ٥٣٠، ٥٣١، ويروي يحيى بن الحسين أن ذلك كان في سنة (١٢٧ هـ) انظر، غاية الأماني، جـ ١، ص ١٢٤.

(٢) ابن الأثير والكامل، جـ ٥، ص ٣٥١.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة، النويري: نهاية الأرب، جـ ٢١، ص ٥٣٠، ٥٣١.

(٤) ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ٣٥١.

(٥) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ١٢٤.

(٦) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٧) الأصفهاني: كتاب الأغاني، تحقيق: علي السباعي: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤، ج ٢٣، ص ٢٢٤.

أجلك [1] ». وعلى الفور دعا عبد اللّٰه بن يحيى إلى البيعة فبايعوه ثم قصدوا دار الإمارة بحضرموت، وقبضوا على عامل بني أمية إبراهيم بن جبلة الكندي وسجنوه، يوماً ثم أطلقوا سراحه بعد أن تبين خطورته على حركتهم [2] .

ظل عبد اللّٰه بن يحيى مقيماً في حضرموت، حتى قوي شأنه وكثر جمعه، وانتشرت دعوته وسماه أصحابه طالب الحق [3] . وكان صدى هذه الأحداث قد تردد في سائر ايمن، ويذكر الأصفهاني أن عبد اللّٰه بن يحيى أرسل إلى «من كان من أصحابه بصنعاء إني قادم عليكم [4] ». وهذا يعني أن الحركة الأباضية قبل ظهورها على هذا النحو قد مرت بطور سري وهو طور الكتمان، وفي هذا الطور انتشرت الدعوة بسرية كاملة حتى أصبح لطالب الحق أعوان كثيرون في صنعاء راسلهم وأخبرهم بقدومه عليهم، وفي تاريخ غير محدد من سنة (١٢٩ هـ/ ٧٤٦ م) انطلق طالب الحق إلى صنعاء في ألفين من أصحابه [5] .

وصلت أنباء هذه التحركات الجديدة إلى مسامع القاسم بن عمر الثقفي ـ عامل مروان بن محمد ـ على صنعاء، فخرج لملاقاة طالب الحق في سلاح ظاهر وعدة، وجمع كثير فعسكر على مسيرة يوم من أبْيَن، وخلف فيها الأثقال وتقدمت المقاتلة، فلقيه عبد اللّٰه بن يحيى بلَحْج ـ قرية من أبْيَن ـ قريباً من الليل، فقال الناس للقاسم، أيها الأمير لا تقاتل الخوارج ليلاً فأبى، وقاتلهم فقتلوا من أصحابه بشراً كثيراً، وانهزموا ليلاً» [6] . وانسحب القاسم إلى صنعاء، وعسكر بقواته وخندق عليها، بعد أن ترك على صنعاء الضحاك بن زمل، وتقدم طالب الحق، حتى أصبح على ميلين من القاسم، فوجه القاسم إلى طالب الحق يزيد بن الفيض في ثلاثة آلاف من أهل الشام واليمن، فكانت بينهم مناوشة، ثم تحاجزوا، فرجع يزيد إلى القاسم، واستأذنه في الهجوم على الخوارج ليلاً فرفض القاسم [7] . فقال

---

(١) يحيى بن الحسن: غاية الأماني، جـ ١، ص ١٢٤.
(٢) الأصفهاني: الأغاني، جـ ٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥.
(٣) المصدر السابق، جـ ٢٣، ص ٢٢٥.
(٤) المصدر السابق، جـ ٢٣، ص ٢٢٥.
(٥) المصدر السابق، جـ ٢٣، ص ٢٢٥، عبد المجيد اليماني: بهجة الزمن، ص ٢٣.
(٦) الأصفهاني: الأغاني، جـ ٢٣، ص ٢٢٥.
(٧) المصدر السابق، نفس الصفحة.

يزيد: «والله لئن لم تبيتنهم ليغمنك، فأبى (القاسم) أن يأذن له، وأقاموا يومين لا يلتقون، فلما كان من الليلة الثالثة أقبل عبد الله بن يحيى فوافاه مع طلوع الفجر فقاتلهم الناس على الخندق، فغلبتهم الخوارج عليه ودخلوا عسكرهم، والقاسم يصلي فركب وقاتلهم الصلت بن يوسف فقتل في المعركة، وقام بأمر الناس يزيد بن الفيض، فقاتلهم حتى ارتفع النهار، ثم انهزم أهل صنعاء» [(١)] .

دخل عبد الله بن يحيى صنعاء، وقبض على الضحاك بن زمل، وإبراهيم بن جبلة بن مخرمة وحبسهما، وجمع الخزائن والأموال، واستولى عليها لصالح الخوارج [(٢)] . وجمع أهل صنعاء وخطب فيهم خطبة حدد فيها معالم سياسته، وضمنها بعض الأفكار التي تدين بها جماعة الأباضية التي يمثلها، وكان مما قاله في هذه الخطبة «إنا ندعوكم إلى كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه وإجابة من دعا إليهما: الإسلام ديننا، ومحمد نبينا، والكعبة قبلتنا، والقرآن إمامنا، رضينا بالحلال حلالاً لا نبغي به بديلاً، ولا نشتري به ثمناً قليلاً، وحرمنا الحرام، ونبذناه وراء ظهورنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله. . . من زنى فهو كافر، ومن سرق فهو كافر، ومن شرب الخمر فهو كافر، ومن شك في أنه كافر فهو كافر، ندعوكم إلى فرائض بينات وآيات محكمات وآثار مقتدي بها. . وندعو إلى توحيد الرب، واليقين بالوعد والوعيد، وأداء الفرائض، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والولاية لأهل ولاية الله، والعداوة لأعداء الله» [(٣)] .

وواضح أن بالخطبة إبهاماً لم يوضحه طالب الحق ـ ولست أدرى هل هذا قصور في النص الذي نقله الأصفهاني؟ أم هو إيجاز من طالب الحق أخلّ بقاعدة واضحة جداً في المذهب الأباضي؟ والأمر كما هو في الخطبة يتعلق بمرتكب الكبيرة، كالزاني والسارق وشارب الخمر، ومعلوم أن الكفر الذي قصده طالب الحق ـ والذي يتفق مع قواعد مذهبه الأباضي في ذلك الوقت هو كفر النعمة، وليس كفر الملة، الذي قال به قدامى الخوارج كالأزارقة، وعدل عنه الأباضية،

(١) المصدر السابق، جـ ٢٣، ص ٢٢٥، ٢٢٦.
(٢) الأصفهاني، جـ ٢٣، ص ٢٢٦.
(٣) المصدر السابق، جـ ٢٣، ص ٢٢٦، ٢٢٧.

وجعلوه كفر نعمة، ليخففوا من وطأة مبادئهم، وليحققوا لها مزياً من الانتشار بين الناس.

وجاء نجاح طالب الحق في ذلك الوقت، وليد الظروف السياسية التي كانت تمر بها اليمن فعلى صعيد الدولة الأموية كانت ضعيفة متهالكة تلفظ أنفاسها الأخيرة، وكانت حركات الخوارج في البصرة وعمان واليمن والمغرب تحكم الحصار حولها وتفقدها قوتها وتوازنها في هذه البلدان، وعلى الصعيد المحلي في اليمن، كان ولاة اليمن يعانون من ضعف سلطتهم على البلاد، وأثبتت الأحداث عجزهم عن إدارة وحسم مشاكلها، وبصفة خاصة مشاكل القبائل، التي ظهرت حادة قوية في ذلك الوقت، ونذكر منها ذلك الصراع القبلي العنيف الذي تفجر بين حمير وخولان، حول قضية الأخذ بالثأر لمقتل رفاعة بن أبان بن ميمون بن حريز من الخنافر من حمير، وكان قاتله هو عمرو بن يزيد من بني حرب بن سعد بن خولان [١] . وعلى الرغم من أن حسم هذه القضية من صميم وظيفة الإدارة الأموية في اليمن فإن النزاع بشأنها أدى إلى اضطراب عظيم في الجزء الشمالي من اليمن، أفقد الوالي الأموي مقدرته في السيطرة على ولايته، وكانت هذه الأحداث سبباً في انضمام حمير إلى الاتجاه الأباضي، كاتجاه جديد للمعارضة ضد بني أمية وعمالهم في اليمن، مما يظهر خطورة العامل القبلي في هذه الآونة.

على كل حال أقام عبد الله بن يحيى طالب الحق ـ في صنعاء أشهراً، يحسن السيرة في الناس، ويلين جانبه لهم، حتى كثر جمعه، ووفدت عليه الخوارج من كل جانب، وبايعه كثير من اليمانية، الذين رأوا فيه من يخلصهم من ظلم بني أمية وجورهم [٢] . وكانت مبادىء الخوارج الأباضية التي أعلنها طالب الحق مدعاة إلى مسارعة اليمانية إلى تأييده، فالخوارج يرون أن الخلافة حق لكل مسلم حر، والفرصة في المذهب الأباضي الخارجي متاحة لكل مسلم، بأن يتولى هذا المنصب الخطير. وقد كانت بيعة اليمانية لطالب الحق من منطلق أنه يمني، وأنه سوف يدفع عنهم ظلم عمال بني أمية، يضاف إلى ذلك أن هذه المبادىء صادفت هوى في نفس طالب الحق ـ الذي ينتمي إلى قبيلة كندة، وهذه القبيلة

---

(١) د. محمد أمين صالح: اليمن الإسلامي، ص ١١٠ وما بعدها.

(٢) الأصفهاني: الأغاني، جـ ٢٣، ص ٢٢٧.

اشتهرت بأنها قبيلة الملوك [١] . فوافق تطلع وحب طالب الحق للسلطة، تطلع أهل اليمن إلى زعامة يمنية تقود المسلمين وتخلصهم من بني أمية.

بعد هذا النجاح الذي أحرزه طالب الحق في حضرموت واليمن، تطلع إلى الاستيلاء على الحجاز ليبسط نفوذه على مكة والمدينة، ليكسب بذلك شرعية المحافظة على الأراضي المقدسة هذا من ناحية، من ناحية أخرى فباستيلائه على الحجاز تكون الجزيرة العربية كلها قد خرجت من تحت سيطرة بني أمية، حيث كان الخوارج قد سيطروا قبل ذلك على شرق الجزيرة العربية، واستولى طالب الحق على الجنوب في حضرموت واليمن، فكان طبيعياً أن يتقدم بعد ذلك نحو الغرب، ليخرج بني أمية من الجزيرة كلها، ولكن لماذا سارع عبد الله ـ طالب الحق ـ إلى اتخاذ هذه الخطوة، رغم ما يبدو فيها من التسرع؟.

أغلب الظن أن أخبار نجاح العباسيين في الشرق كانت تترامى إلى مسامع الخوارج الأباضية في البصرة والخليج العربي واليمن، خاصة إذا علمنا أن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن العباس أمر أبا مسلم الخراساني، بإظهار الدعوة والتسويد في خراسان ومرو في رمضان سنة (١٢٩ هـ/ ٧٤٦ م) [٢] . وربما كان هذا النجاح المنقطع النظير ـ الذي أحرزته الدعوة العباسية في المشرق ـ بعد إعلانها [٣] ـ سبباً في اتخاذ طالب الحق خطوات متسرعة ـ قبل نضوج حركته في اليمن ـ بالاتجاه نحو مكة والمدينة المنورة.

وجه طالب الحق أبا حمزة المختار بن عوف، وبلج بن عقبة، وابرهم بن الصباح إلى مكة في جيش قوامه تسعمائة جندي، وقيل في ألف ومائة، وأمره أن يقيم بمكة حتى تنتهي شعائر الحج، وأن يوجه من هناك بلج بن عقبة إلى الشام [٤] .

---

(١) د. عبد الله خورشيد البري: القبائل العربية في مصر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٧، ص ١٤٠.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، طبعة دار المعارف ١٩٦٥، جـ٧، ص ٣٥٣، ٣٥٥، ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ص ٣٥٧.

(٣) المصادر السابقة، نفس الصفحات، يروي الطبري أن أبا مسلم بعد أن أعلن الدعوة في قرية لخزاعة ـ من قرى مرو ـ وافاه في يوم واحد أهل ستين قرية أخرى، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ ٧، ص ٣٥٥.

(٤) الأصفهاني: الأغاني، جـ ٢٣، ص ٢٢٧.

وصل أبو حمزة إلى مكة في يوم التروية فجأة فلم «يعلم الناس بعرفة إلا وقد طلعت عمائم سود خرقية في رؤوس الرماح» (1) . وكان على مكة والمدينة والموسم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك، الذي دعا الأباضية بقيادة أبي حمزة إلى الهدنة، فقالوا له: «نحن بحجنا أضن وعليه أشح فصالحهم على أنهم جميعاً آمنون بعضهم من بعض حتى تنفر الناس النفرة الأخيرة» (2) .

ولما كانت النفرة الأولى للحجيج، خرج عبد الواحد تاركاً مكة لأبي حمزة، فدخلها بغير قتال ولا حرب، واتجه عبد الواحد إلى المدينة المنورة، حتى إذا وصل إليها دعا بالديوان، وأمر الناس بالخروج لحرب الخوارج الأباضية، وزادهم في العطاء عشرة عشرة، والتقى الفريقان بقديد بالقرب من مكة، وكانت الدائرة على أهل المدينة الذين كانوا بقيادة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز (3) . وعلى الرغم من كثرة جيش أهل المدينة الذي قدر في رواية الأصفهاني بثمانية آلاف رجل من قريش والأنصار، فقد كانوا كما ذكر الأصفهاني أيضاً من «التجار أغمار لا علم لهم بالحرب، فخرجوا في المصبغات والثياب الناعمة واللهو، لا يظنون أن للخوارج شوكة ولا يشكون أنهم في أيديهم» (4) . وقدر الطبري والنويري عدد القتلى في هذه المعركة بسبعمائة قتيل، وكانت هذه المعركة في السابع من صفر سنة (١٣٠ هـ/ ٧٤٧ م) (5) .

وفي الثالث عشر من صفر سنة (١٣٠ هـ/ ٧٤٧ م)، دخل أبو حمزة المدينة وأحسن فيها السيرة، واستمال الناس حتى سمعوه يقول: «من زنى فهو كافر، ومن سرق فهو كافر، ومن شك في كفرهما فهو كافر» (6) . حتى إذا مضت ثلاثة أشهر، خرج أبو حمزة إلى الشام، وقال: «يا أهل المدينة إنا خارجون إلى مروان، فإن

(١) المصدر السابق: جـ ٢٣، ص ٢٢٨.
(٢) النويري: نهاية الأرب، جـ ٢١، ص ٥٣١.
(٣) الأصفهاني: الأغاني، جـ ٢٣، ص ٢٣١، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ ٧، ص ٣٧٦.
(٤) الأصفهاني / الأغاني، جـ ٢٣، ص ٢٣١.
(٥) الطبري: تاريخ الملوك والرسل، جـ ٧، ص ٣٩٨، النويري: نهاية الأرب، جـ ٢١، ص ٥٣٢.
(٦) المصدر السابق، جـ ٢١، ص ٥٣٤.

نظفر نعدل في أحكامكم ونحملكم على سنّة نبيكم وإن يكن ما تتمنون فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون»[1] .

وكان مروان بن محمد قد جهز جيشاً من أربعة آلاف فارس، بقيادة عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي، فالتقى هذا الجيش بطلائع جيش الخوارج بقيادة بلج بن عقبة، وكان في ستمائة فارس، فسحق الجيش الأموي، جيش الأباضية، وقتل بلج بن عقبة، وفر الباقون إلى المدينة، التي بادر أبو حمزة إلى الانسحاب منها إلى مكة[2] . ودخل ابن عطية السعدي المدينة المنورة، ومكث بها شهراً، توجه بعده لقتال أبي حمزة في مكة، وقسم جيشه إلى فرقتين، الأولى: توجهت إلى منطقة الأبطح، والثانية: قادها عبد الملك السعدي بنفسه للقاء أبي حمزة، وتمكنت الفرقة الأولى من دحر الأباضية بالأبطح، وقتل قائدها أبرهة بن الصباح[3] ، أما أبو حمزة فكان اللقاء بينه وبين عبد الملك السعدي في منطقة أسفل مكة، ويروي الأصفهاني أن أبا حمزة قال لأصحابه: لا تقاتلوهم حتى تخبروهم، فصاح بهم عبد الملك السعدي ومن معه: «ما تقولون في القرآن والعمل به؟ فصاح ابن عطية. نضعه في جوف الجوالق (الأوعية) قال فما تقولون في مال اليتيم؟ قال: نأكل ماله، ونفجر بأمه»[4] .

وانتهى هذا الحوار بمعركة طاحنة بين جيشي بني أمية والأباضية قتل فيها أبو حمزة، وقتلت معه امرأته، وتفرقت جماعة الأباضية، وأسر أهل الشام منهم أربعمائة، وحين سألهم ابن عطية عن سبب خروجهم مع أبي حمزة قالوا له: «ضمن لنا الكنة: يريدون الجنة وهي لغتهم»[5] .

وتعكس هذه الأحداث رفض أهل الحجاز تماماً لفكر الأباضية، ومعتنقيه،

---

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٧، ص ٣٩٩ مع خلاف في اللفظ.

(٢) الأصفهاني: الأغاني، جـ٢٣، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٦.

(٣) المصدر السابق، جـ ٢٣، ص ٢٤٧.

(٤) النويري: نهاية الأرب، جـ ٢١، ص ٥٣٥.

(٥) الأصفهاني: الأغاني، جـ٢٣، ص ٢٤٧.

حتى إن هؤلاء الأباضية كانوا مثاراً للسخرية من أهل المدينة، مما جعل أبو حمزة في بعض الأحيان يدافع عن هذا النقد اللاذع الموجه إلى أصحابه، فقال لأهل المدينة: «يا أهل المدينة بلغني أنكم تنتقصون أصحابي، قلتم شباب أحداث، وأعراب جفاة» [(١)] . وفي خطبة أخرى يقول لهم: «ثم لقينا رجالكم فدعوناهم إلى طاعة الرحمٰن، وحكم القرآن، فدعونا إلى طاعة الشيطان وحكم بني أمية» [(٢)] . وتعني هذه العبارة الأخيرة أن أهل المدينة رفضوا فكر الأباضية ودافعوا عن نظام الحكم الأموي، يضاف إلى ذلك أن جماعات الخوارج حملوا لأهل المدينة فكراً يتضمن تكفيراً لمرتكب الكبيرة ـ فإن هذه الأفكار، وغيرها مما عرضه الأباضية عليهم، كانت أموراً غريبة على أهل الحجاز الذين بادروا إلى رفضها، وبالتالي رفض سلوكيات أصحابها الخوارج الأباضية.

فزع عبد اللّٰه بن يحيى ـ طالب الحق ـ لهزيمة أصحابه في الحجاز، ومقتل أبي حمزة وقرر الخروج لملاقاة عبد الملك بن عطية السعدي للثأر منه لمقتل أبي حمزة، وأتباعه وكان ابن عطية قد ذهب إلى الطائف، فأقام بها شهرين، بعد أن استعمل على مكة رومي بن عامر المري. والمصادر اليمنية تذكر هذه الأحداث مقتضبة جداً، بينما رواية الأصفهاني فيها كثير من التفاصيل المهمة، فرواية يحيى بن الحسين، تذكر أن ابن عطية تابع فلول الخوارج بعد مقتل أبي حمزة من مكة إلى بِيْشَة إلى صَعْده إلى صنعاء، فاستولى عليها وقتل عبد اللّٰه بن يحيى طالب الحق [(٣)] .

وتكاد المصادر اليمنية الأخرى تذكر الأحداث على هذا النحو [(٤)] . بينما

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ ٧، ص ٣٩٦.

(٢) النويري: نهاية الأرب، جـ ٢١، ص ٥٣٣.

(٣) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ١٢٥، (بِيْشَة: واد في عسير في ناحية نجد شرقا، الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، جـ ١، ص ١٣٣، (صَعْده: بالفتح ثم السكون: مخلاف باليمن، البغدادي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، طبعة دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٤، جـ ٢، ص ٨٤١).

(٤) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ١٢٥، الخزرجي العسجد المسبوك، ص ٢٤، عبد المجيد اليماني: بهجة الزمن، ص ٢٣، الكبسي: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، =

رواية الأصفهاني تذكر أن عبد اللّه بن يحيى تقدم حتى الطائف، والتقى هو ومن معه بجيش ابن عطية عند موضع بالقرب من الطائف يعرف بكسة أو كثبة [1] . فأكثر أهل الشام القتل في الأباضية، وأخذوا أثقالهم وأموالهم، وتشاغلوا بنهب الأباضية، فحمل عبد اللّه بن يحيى عليهم فكشفهم وقتل منهم نحو مائة رجل، فعنفهم ابن عطية فكروا على الأباضية وظلوا يقاتلون حتى المساء [2] .

التقى الأباضية بجيش ابن عطية في اليوم التالي في موضع كثير الشجر والكرم والحيطان كما تذكر رواية الأصفهاني: «فطال القتال بينهم، واستحل القتل في الشراة، فترجل عبد اللّه بن يحيى في ألف فار، فقاتلوا حتى قتلوا جميعاً عن آخرهم، وانهزم الباقون، فتفرقوا في كل وجه، ولحق من نجا منهم بصنعاء، وولوا عليهم حمامة... وبعث عبد الملك بن عطية رأس عبد اللّه بن يحيى مع ابنه يزيد بن عبد الملك إلى مروان» [3] .

بعد هذه الأحداث كتب مروان بن محمد إلى عبد الملك بن عطية يأمره بالمسير إلى صنعاء، ليقاتل من بها من الخوارج، فترك ابنه محمد بن عبد الملك على مكة، وعلى المدينة الوليد بن عروة بن عطية، فلما اقترب ابن عطية من صنعاء هرب منها عامل عبد اللّه بن يحيى، فأخذ أهل صنعاء متاعه وحملين من المال، وسلموا ذلك لابن عطية عند دخوله صنعاء [4] . وعلى الرغم من الجهود المضنية التي قام بها ابن عطية لاستئصال اتباع عبد اللّه بن يحيى، ومتابعتهم في كل مكان، فقد كان عليه أن يواجه مواطن التجمعات الأباضية الكبرى التي تمركزت في الجند وتزعمها آل ذي الكُلاع، بقيادة يحيى بن عبد اللّه بن عمر بن السباق، وكذلك تجمعات الأباضية في ساحل البحر، بقيادة أبو كرب الحميري [5] . ونجح عبد الرحمٰن بن يزيد بن عطية في القضاء على الأباضية بالجند، والتقى أبو أمية

= مطبعة السعادة ١٩٨٤، ص ٥، ٦.

(١) الأصفهاني: الأغاني، جـ ٢٣، ص ٢٤٩.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٤٩، ٢٥٠.

(٤) الأصفهاني / الأغاني، جـ ٢٣، ص ٢٥٤.

(٥) المصدر السابق، نفس الصفحة.

الكندي في الوضاحية بساحل البحر، بالأباضية فقتل منهم نحواً من مائة رجل، وعند المساء هرب من تبقى من الأباضية إلى حضرموت، حيث معاقلهم الأولى، كان عليها عامل لطالب الحق، يدعى عبد الله بن معبد الجرمي [1].

استخلف عبد الملك بن عطية ابن أخيه عبد الرحمٰن بن يزيد بن عطية على صنعاء، واتجه هو إلى حضرموت للقضاء على الخوارج الذين تجمعوا بقيادة عبد الله بن معبد، وجمعوا الطعام، وكل ما يحتاجون إليه في شبام [2] ـ التي كانت حصن حضرموت إذ ذاك ـ مخافة الحصار وجهزوا أنفسهم للقاء ابن عطية في صحراء حضرموت، فخرجوا حتى نزلوا على أربع مراحل من حضرموت في أعداد كثيرة، وفي هذه الظروف تحرك إليهم ابن عطية، واشتبكت قواته معهم يوماً كاملاً حتى إذا جاء المساء، وعلم أن الأباضية جمعوا أموالهم وطعامهم في شِبَام، انحدر بعسكره ليلاً إلى شِبَام، فاستولى على مابها، ثم أصبح، فالتقى بالأباضية ثانية حتى المساء، واتجه ثانية إلى شِبام، وأخذ جميع ما فيها ونصب عليهم المسالح [3] «وقطع عنهم (الأباضية) المادة والميرة، وجعل يقتل من يقدر عليه ويسبى ويأخذ الأموال» [4].

وتذكر المصادر أن مروان بن محمد استدعى عبد الملك بن عطية، وأمره بالتعجيل في العودة إلى مكة ليحج بالناس فصالح أهل حضرموت على أن يرد عليهم ما عرفوا من أموالهم، ويولى عليهم من يختارون، وسالموه، فرضى بذلك وسالمهم، واتجه من فوره في قلة من الجند إلى مكة بعد أن ترك على اليمن ابن أخيه عبد الرحمٰن بن يزيد بن عطية نائباً عنه ليلحق هو بالحجيج كما أمره مروان [5]. وقد أدرك مروان بن محمد الخلل في هذا القرار الذي اتخذه في عِودة ابن عطية من اليمن، فيذكر الأصفهاني أن مروان قال: «إنا لله! والله قتلت

---

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) الأصفهاني: الأغاني، جـ ٢٣، ص ٢٢٥، شِبَام: بكسر الشين اسم مشترك بين أربعة بلدان في اليمن وهي: شِبام كوكبان شِبام حَرَاز، شِبام الغَرَاس من بلاد صنعاء، وشِبام حضرموت وهي المقصودة هنا، وشِبام حضرموت إحدى مدينتي حضرموت والأخرى تريم، الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، جـ ٢، ص ٢٤١ ـ ٢٤٣.

(٣) الأصفهاني: جـ ٢٣، ص ٢٥٥.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ ٧، ص ٤٠٠.

ابن عطية، هو الآن يخرج مخففاً متعجلاً، ليلحق الحج فيقتله الخوارج»[1].

خرج ابن عطية ـ كما ذكرنا ـ في قلة من الجند، فلما كان في أرض مراد أحاطت به جماعة في منطقة الجوف[2]، فمن كان من تلك الجماعة أباضياً عرفه فقال: «ما ننتظر بهذا أن ندرك ثأر إخواننا فيه، ومن لم يكن من الأباضية ظنه من الأباضية، وأنه منهزم، فلما علم أنهم يريدونه قال لهم: ويحكم! أنا عامل أمير المؤمنين، على الحج، فلم يلتفتوا إلى ذلك وقتلوه، ونصبت الأباضية رأسه، فلما فتشوا متاعه، وجدوا فيه الكتاب بولاية الحج، فأخذوا من الأباضية رأسه ودفنوه مع جسده»[3].

على أثر هذه الحادثة تدهورت أوضاع الأباضية في حضرموت فما أن علم عبد الرحمٰن بن يزيد بن عطية نائب ابن عطية على اليمن بمصرع عمه، حتى أرسل إلى حضرموت جيشاً بقيادة شعيب البارقي، وأمره بحصد الأباضية في كل مكان، فقتل الرجال والصبيان، وبقر بطون النساء، وأخذ الأموال، وأخرب القرى، حتى لم يبق أحد من قتلة ابن عطية ولا من الأباضية إلا قتله، وظل باليمن حتى سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية[4]. ولكن صاحب غاية الأماني يذكر أن

---

(١) الأصفهاني: الأغاني، جـ ٢٣، ص ٢٥٥.

(٢) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ١٢٥، ١٢٦، ذكر الطبري وابن الأثير المنطقة باسم الحُرْف ولعلها الجَوْف، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ ٧، ص ٤٠٠، ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ص ٣٩٢.

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ج ٢٣، ص ٢٥٥، ذكر الطبري نفس الرواية بخلاف في اللفظ، انظر، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٤٠٠، (ويصور الأصفهاني نقلاً عن المدائني، اللحظات الأخيرة في حياة ابن عطية فيقول: «خرج إليه جمانة وسعيد ابنا الأخنس، في جماعة من قومهما من كندة، وعرفه جمانة لما لقيه، فحمل عليه هو وأخوه، ورجل آخر من همدان، يقال له رمانة، وثلاثة من مراد، وخمسة من كندة، وقد توجه في طريق مع أربعة أنفار من أصحابه، وتوجه باقيهم في طريق آخر، فقصدوا حيث توجه ابن عطية، ووجهوا في آثار أصحابه نحو أربعين رجلاً منهم، فأدركوهم فقتلوهم، وأدرك سعيد وجمانة وأصحابهما ابن عطية، فعطف عبد الملك على سعيد، فضربه وطعنه جمانة فصرعه عن فرسه، ونزل إليه سعيد، فقعد على صدره، فقال له ابن عطية: هل لك يا سعيد في أن تكون أكرم العرب أسيراً؟ فقال: يا عدو الله، أترى الله كان يمهلك؟ أوتطمع في الحياة وقد قتلت طالب الحق وأبا حمزة وبلجا وإبراهيم! فقتله وقتل أصحابه جميعاً، وبعثوا برأسه إلى حضرموت، الأصفهاني: الأغاني، ج ٢٣، ص ٢٥٥، ٢٥٦).

(٤) الأصفهاني: الأغاني، جـ ٢٣، ص ٢٥٦.

مروان بن محمد بعث إلى اليمن بعد مقتل ابن عطية الوليد بن عروة عاملاً على اليمن [1].

وإذا كان من وقفة لتقييم المرحلة التي مر بها الاتجاه الأباضي في اليمن في ذلك الوقت، فمن الواضح أن الاتجاه الأباضي كانت إمكاناته الاقتصادية والبشرية محدودة للغاية، وإذا كان المذهب الأباضي قد تأكدت دعائمه في حضرموت فإنه كان يتطلب وقتاً أكثر لتدعيم موقفه في بقية اليمن، ولكن طالب الحق لم يعط هذه الفرصة لنفسه ولأصحابه، ولعل تسرعه هذا كان بسبب إعلان الدعوة العباسية في المشرق، دعاه ذلك إلى سرعة التقدم نحو الحجاز، فكان أن واجهت قواته المحدودة بشرياً واقتصادياً، إمكانات دولة كاملة، متمثلة في الجيش الأموي بقيادة عبد الملك بن عطية.

يضاف إلى ذلك أن زعماء الحركة الأباضية كلهم قدموا أنفسهم على نحو بطولي، دون تقدير للعواقب، فقتلوا وبالتالي، فلم يجد الاتجاه الأباضي قيادة تحميه وتدبر أمره في الأوقات العصيبة التي مرت به. وأدى ذلك بطبيعة الحال إلى سهولة التخلص من بقايا إتباع المذهب الأباضي، الذين لم يكونوا قلة كما تصورهم البعض، وإنما كان هذا الاتجاه في اليمن في هذه الأونة رمزاً للمعارضة للأمويين، ولذلك وجد قبولاً لدى الكثيرين من أبناء اليمن، وكانت أشهر القبائل اليمنية التي التفت حول هذا الاتجاه قبائل حمير وكنده ومراد وبعض همدان في مغرب منازل همدان وبشق إحدى بطون همدان في حضرموت، وهي قبائل لها وزنها وثقلها في اليمن [2].

أرسل مروان بن محمد كتاباً إلى عامله على اليمن، ليقرأه على الناس، والكتاب إحدى الوثائق اليمنية المهمة التي نقلها الأكوع في كتابه الوثائق السياسية اليمنية، عن كتاب التاريخ المجهول، وأشار مروان إلى القائمين بهذه الثورة

---

(١) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ١٢٦.

(٢) الأصفهاني: الأغاني، جـ ٢٣، ص ٢٥٤، ٢٥٦، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ ٧، ص ٤٠٠، نشوان الحميري: الحور العين، تحقيق: كمال مصطفى، المكتبة اليمنية بصنعاء، الطبعة الثانية ١٩٨٥، ص ٢٥٦، ٢٥٧.

الأباضية، وقال عن عبد الله بن يحيى - طالب الحق - إنه طالب الذبح أعور الأباضية، وفي نهاية الكتاب، يأمر واليه أن «اقرىء كتاب أمير المؤمنين على من يليك من رعيتك لعل الغلظة أن تكفهم، أو العبرة أن تحجزهم» [(١)].

على الرغم من هذا كله ظل المذهب الأباضي قائماً في اليمن وحضرموت، خلال فترة هذه الدراسة حتى نهاية القرن الثالث الهجري وبعدها، وكان معتنقوه يمثلون اتجاهاً مذهبياً واضحاً وإن كان تأثيرهم السياسي يكاد يكون غير ذي بال، وكان استقرار جماعات الأباضية - بصفة خاصة - في حضرموت في مدينة دوعن - التي كانت مركزاً لإمامهم الذي «يأمر الأباضية وينهى» [(٢)]. وفي قبيلة الصَدَف، وهي إحدى البطون الكبرى من كندة [(٣)]. كما استقر بعضهم في مغرب صنعاء في منطقة شِبام ونواحيها [(٤)]. كما كانت هناك تجمعات أخرى في حَجْة، والشَّرَف [(٥)]. كذلك يذكر بعض المؤرخين أن طائفة منهم تمركزت في غرب المناطق التي تقيم فيها قبيلة هَمْدَان [(٦)]. وكذلك في بني شَاوِر [(٧)]. وتذكر رواية مسلم اللحّجى عن

---

(١) الأكوع: الوثائق السياسية اليمنية، دار الحرية للطباعة والنشر ببغداد، الطبعة الأولى ١٩٧٦، ص ٢٠١، ٢٠٣.

(٢) الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث اليمنى، الطبعة الثالثة ١٩٨٣ ص ١٧٠، ١٧١، (دَوْعن: بفتح وسكون وهو الوادي الرئيسي في حضرموت، وعليه القرى والمدن في حضرموت، المصدر السابق، ص ١٦٨، هامش ٨.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحتان، الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، جـ ٢، ص ٤٦٤، الصَّدِف: بالفتح ثم الكسر اسم لمخلاف باليمن منسوب إلى القبيلة، وفي المجموع ضبطها الصَدَف بالفتح اسم للقبيلة، المصدر السابق، نفس الصفحة، ياقوت: معجم البلدان، جـ ٣، ص ٣٩٧.

(٤) السكسكي: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، تحقيق خليل أحمد إبراهيم، دار التراث العربي القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٠، ص ٩، (شِبام: بكسر الشين وهي شبام كوكبان القريبة من صنعاء، الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، جـ ٢، ص ٤٤١.

(٥) مسلم اللحجي: أخبار الزيدية باليمن، مخطوط عن نسخة مصورة عن مكتبة برلين، ورقة ٤٠ أ، ٤٥ ب، (حَجْة: بلدة مشهورة من بلاد هَمْدَان في الشمال الغربي من صنعاء على مسافة ثلاث مراحل، الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، جـ ١، ص ٢٤٢، الشَّرَف: بلاد واسعة من حَجُور، وهي الآن من أعمال محافظة إب، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٤٥٠.

(٦) نشوان الحميري: الحور العين، ٢٥٦، ٢٥٧، (هَمْدَان: أشهر قبائل اليمن، وتنحصر قبائل همدان في البطنين حاشد وبكيل، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧٥٢.

(٧) مسلم اللحجي: تاريخ مسلم اللحجي، مخطوط نسخة خاصة بالباحث، مصورة عن النسخة =

هؤلاء أنهم كانوا يقدمون زكاتهم إلى أهل الرأى والعلم منهم لإنفاقها في خدمة أهل المذهب [١] .

وقد اشتهر الأباضية في اليمن بألقاب لم تعرف عنهم في غير اليمن، فعرفوا باسم (المُصَرَّرَة)، وذلك لأن الواحد منهم كان يتخذ لنفسه صُرة أو كيساً فيه رمل حول مجرى البول، وكلما ابتل الرمل من البول بدده واستعمل غيره، وذلك تشددا وتحرزا من النجاسة [٢] . وفي المناطق القريبة من مغرب صنعاء يطلقون عليهم (السمارة) [٣] . كما اشتهروا أيضاً باسم (البَيَاضَة)، وذلك لسكناهم في مخاليف البيّاض التي يبدو أنها نسبت إليهم فعرفت بمذهبهم [٤] .

وكان للأباضية أسهاماتهم في الحركة الفكرية والعلمية، وذلك من خلال المناقشات والمناظرات التي كانت تدور بين علمائهم ومفكريهم، وبين علماء الزيدية [٥] . وقد أُلفت كُتب عدة في الرد على الأباضية [٦] . واستمرت المناظرت بين الأباضية ومخالفيهم واحتدم أوارها بعد ذلك بين الأباضية وبين المهاجر أحمد بن عيسى العلوي، الذي نجح في صرف عدد كبير من الأباضية من أهل اليمن عن مذهبهم، خلال حواره معهم ومناظرته لهم [٧] . ولذلك ففي هذه الفترة في نهاية القرن الثالث الهجري، ومطلع القرن الرابع، منى الاتجاه الأباضي بهزيمة

= المحفوظة بالمكتبة المركزية بجامعة صنعاء، ورقة ٢٦٩، (بنى شاوِر: من بطون حاشد، وبلاد شاور في كُحْلان من نواحي حَجّة، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٤٤١.

(١) مسلم اللحجي: تاريخ مسلم اللحجي، مخطوط، ورقة ٢٦٩.

(٢) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز (تاريخ المستبصر) تحقيق لوفغرين، ليدن مطبعة بريل ١٩٥١، ص ٢٧٨، ويرجع ابن المجاور هذا التشدد لتأثرهم بمذهب ابن حنبل، المصدر السابق، ص ٢٧٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٨.

(٤) مسلم اللحجي: تاريخ مسلم اللحجي، مخطوط، ورقة ٢٠٢، ٢٠٦.

(٥) مسلم اللحجي: أخبار الزيدية باليمن، مخطوط، ورقة ٤ ب، ٤٤ ب.

(٦) المصدر السابق، ورقة ٤٠ أ، ٤٤ ب، ٤٥ ب، المحلي: الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية، صورة بالأوفست الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ، جـ ٢، ص ٤٦.

(٧) د. عصام الدين عبد الرؤوف: اليمن في ظل الإسلام، ص ٧٠، العلوي: تاريخ حضرموت، مكتبة الإرشاد جدة ١٣٦٦ هـ، جـ ١، ص ٢٠٤، ٢٠٥.

فكرية كبيرة تخلى فيها كثير من اليمانية عن مذهبهم حتى ضعف أمر الأباضية بعد ذلك، وأصبحوا فئة منعزلة لا حول لها ولا قوة.

والأباضية يعتقدون في صحة إمامة أبي بكر وعمر ويعظمونهما، ويسكتون عن عثمان بن عفان، وعلي ـ رضي الله عنهما ـ ويقولون بأن أمرهم موكول إلى الله ـ تعالى ـ أما معاوية، فهم يقدحون فيه هو وعمرو بن العاص [١] وللأباضية اجتهاداتهم الخاصة وقد أشار الإمام أبو زهرة إلى الفرق الإسلامية التي لها مذاهب فقهية، وجعل منها فرقة الأباضية إتباع عبد الله بن أباض، فلهم فقه مدون، وجهود في تحرير مذهبهم [٢] ، وهناك إشارة عند ابن المجاور سبق أن ألمحنا إليها، بأن الأباضية يتمذهبون بمذهب الإمام أحمد بن حنبل [٣] . فالأحكام عندهم تجرى على قانون الكتاب والسنة والإجماع ثم على القياس والاستدلال والاستحسان والاستصحاب [٤] . ويظهر ذلك من خلال اجتهاداتهم في بعض مسائلهم.

وإذا كان الاتجاه الأباضي قد انتعش في اليمن خلال نهاية العصر الأموي، فقد بدأ الاتجاه الشيعي في النمو والازدهار سريعاً في اليمن خلال العصر العباسي الأول (١٣٢ هـ/ ٧٤٩ م ـ ٢٣٢ هـ/ ٨٤٦ م) [٥] ، وأصبحت هناك اتصالات مؤكدة بين الشيعة في اليمن وبين أصحاب هذا المذهب خارج اليمن، بل لقد تعاطف أصحاب الميول الشيعية في اليمن مع حركات الشيعة خارجها.

---

(١) السيابي: أصدق المناهج في تمييز الأباضية من الخوارج، تحقيق: د. سيدة إسماعيل الكاشف، طبعة وزارة التراث والثقافة بسلطنة عمان، القاهرة ١٩٧٩، ص ٦٣، ٦٤.

(٢) أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، طبعة دار الفكر العربي، ص ٧٨.

(٣) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص ٢٧٩.

(٤) السيابي: أصدق المناهج، تحقيق: د. سيدة إسماعيل الكاشف، ص ٤٧، ويرى بعض المتقدمين من علماء الأباضية أن الأباضية ليسوا من الخوارج، وأن دمج الأباضية بالخوارج كان لتشويه سمعتهم والتقليل من شأنهم، المصدر السابق، ص ٢٠ ـ ٢٦.

(٥) د. أحمد شلبي: التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة ١٩٧٠، جـ ٣، ص ٢٠١، الخضري: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، جـ ٢، ص ٢٤٨.

الفصل الثالث

الاتجاه الشيعي

الشيعة هم أولئك الذين شايعوا علياً ـ رضي اللّه عنه ـ وبنيه من بعده، وقدموه على سائر أصحاب رسول اللّه ﷺ واعتقدوا اعتقاداً جازماً بأن الإمامة لا تخرج عنه ولا عن أولاده من بعده [١] . وفي تأصيلهم لهذه القاعدة قالوا بأن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة [٢] ، بحيث يتعين الإمام بتعيين الأمة له بل الإمامة عند الشيعة «ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز لنبي إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة بل يجب عليه تعيين الإمام لهم، ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر، وإن علياً ـ رضي اللّه عنه ـ هو الذي عينه (النبي) صلوات اللّه وسلامه عليه» [٣] .

وقد سرت هذه الأفكار إلى الكثيرين من أهل اليمن، فبدأ التشيع عندهم حباً لآل البيت عامة، إلى أن اقتضت الظروف السياسية التي مرت بها بلاد اليمن إلى أن يعتنق بعضهم الفكر الشيعي، وفقاً لمذاهب شيعية محددة الاتجاه والميول. وظهر ذلك خلال حكم العباسيين لليمن، وهذا ما نتبينه بوضوح خلال المرحلة القادمة.

فقد حاول العباسيون منذ وصولهم إلى السلطة في الدولة الإسلامية بسط نفوذهم الكامل على اليمن، فأسند أبو العباس السفاح ـ أول الخلفاء العباسيين ـ

---

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين: تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية ١٩٨٥، جـ ١، ص ٦٥.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، طبعة دار القلم بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٨، ص ١٩٦.

(٣) المصدر السابق، ص ١٩٦، ١٩٧.

ولاية اليمن لعمه داود بن علي [1] . وذلك لأهمية اليمن وضرورة استقرار الأوضاع بها، لأن ذلك يؤثر بشكل واضح على النفوذ العباسي في الحجاز، خاصة وأن الحركة الأباضية الخارجية ما زال لها بعض الأعوان في جهات اليمن وحضرموت بصفة خاصة.

وقد زادت حدة الاضطرابات في اليمن في تلك الفترة، وذلك لتشدد الولاة العباسيين مع أهل اليمن حتى إن عبد الله بن الربيع الحارثي - والي اليمن [2] - فشل فشلاً ذريعاً في مواجهة الفتن والثورات ففر من اليمن تاركاً ولده نائباً عنه فيها [3] . حتى جاء معن بن زائدة الشيباني - وهو يمني الأصل - والياً جديداً على اليمن من قبل أبي جعفر المنصور، الذي كلفه بالقضاء على الحركات المناهضة للعباسيين في اليمن [4] . وينفرد الجندي عن غيره من المؤرخين بالقول بأن معن بن زائدة «قدم صنعاء والياً لمخلافها ومخلاف الجند» [5] .

---

(١) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ١٢٧، ١٢٨.

(٢) المصدر السابق، جـ ١، ص ١٢٩، ١٣٠، (يذكر يحيى ابن الحسين أن اسمه الربيع بن عبد الله الحارثي).

(٣) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ٢٥، د. عصام الدين عبد الرؤوف: اليمن في ظل الإسلام، ص ٧٣.

(٤) الخزرجي: العجسد المسبوك، ص ٢٥، (وكان الراوندية قد قاموا بثورة كبرى على أبي جعفر المنصور، كان هدفها الأصلي الثأر لمقتل أبي مسلم الخراساني، وكان أبو جعفر قد خرج بنفسه لإخماد هذه الثورة، فتكاثر الراوندية عليه، وكادوا يقتلونه، لولا أن سارع معن ابن زائدة الشيباني إلى إنقاذه من أيديهم، وكان معن ابن زائدة قد وقف - قبل ذلك إلى جانب يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري - أمير العراقيين - في زمن مروان ابن محمد، وقد اعتصم يزيد بواسط ورفض الاعتراف بالعباسيين، وكان المنصور يقول: «لا يعز ملك هذا فيه».
وأعطاه المنصور أماناً، ولكنه ما لبث أن غدر به وقتله، وقد وقف معن بن زائدة إلى جانب يزيد في الدفاع عن واسط وأبلى معه بلاء حسناً، ولما استولى المنصور على واسط) اختفى معن بن زائدة، واهتم المنصور كثيراً بأمر القبض على معن، ورصد مبلغاً كبيراً من المال لمن يقبض عليه، فلما كان يوم الهاشمية، بين الراوندية وأبي جعفر انقذه معن على النحو الذي ذكرناه، وظل يقاتل الراوندية حتى انتصر عليهم، وكان متخفياً لا يعرفه أحداً حتى تعرف عليه المنصور، وقال له: قد آمنك الله على نفسك حتى تعرف عليه المنصور، وقال له: قد آمنك الله على نفسك وأهلك ومالك ومثلك يصطنع: «ورأى إنه خير من يصلح لولاية اليمن، المرجع السابق، ص ٧٤، ٧٥، ابن الأثير: الكامل جـ ٥، ص ٥٠٢ - ٥٠٤).

(٥) الجندي: السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، طبعة وزارة الإعلام=

بينما معظم المؤرخين يذكرون أن ولايته كانت على اليمن كلها [١] .

على كل حال مضى معن بن زائدة في ترسيخ النفوذ العباسي في اليمن بشتى الطرق، واتبع في ذلك وسائل أرهبت الأهلين، ومن ذلك أنه أرسل أحد أقاربه نائباً عنه في مخلاف الجند ـ ويذكر الجندي أنه أخوه سليمان أو ابن عمه [٢] ـ سكن هذا الوالي إحدى قرى الخوارج (الأباضية)، وهي قرية الزُرَيبة على ربع مرحلة من الجَنَد، وساءت سيرة نائب معن فيهم، واحتقرهم، وصار مولعاً باذلالهم [٣] . فقتله أهل هذه القرية، فما كان من معن بن زائدة إلا أن خرَّب هذه القرية، وقتل منهم نحواً من الألفين، وألزم الناس كما يروي الجندي بلبس الثياب المصبغة بالنيل، وترك شعورهم منشورة [٤] . ولقى الخوارج الأباضية الذين تعددت ثوراتهم في حضرموت أيضاً كثيراً من ألوان القتل والمصادرة لأموالهم، فقتل معن بن زائدة منهم كما تذكر روايات المؤرخين خمسة عشر ألفاً [٥] . حتى إن أحد الرجال من قريش قال للمنصور: «ألا ترى يا أمير المؤمنين أن ما فعل معن بأهل حضرموت كاد أن يأتي عليهم» [٦] . ولكن كانت تصرفات معن بن زائدة المتشددة مع أهل حضرموت تلقي ارتياحاً كبيراً من الإدارة العباسية، حيث كتب معن إلى المنصور بذلك «فاستصوب فعله، لأنهم ـ كما يرى ـ بقية الخوارج الذين قتلوا أهل قديد من أهل المدينة» [٧] .

= والثقافة اليمنية ١٩٨٣، جـ ١ ص ٢٠٩.

(١) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١٣٠، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ١٣٠، عبد المجيد اليماني: بهجة الزمن، ص ٢٤، ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ص ٥٠٤.

(٢) الجندى: السلوك، جـ ١، ص ٢٠٩.

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة، (من ذلك ما يرويه الجندي «أنه كانت لا تزف امرأة إلى بعلها حتى تعرض عليه، وربما وقع بها» ورغم ما تحمله هذه الرواية من مبالغة، إلا إنها تعكس تعنت هذا العامل مع الأهلين، المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٠٩، ٢١٠).

(٤) المصدر السابق، جـ ١، ص ٢١٠.

(٥) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ١٣٠، عبد المجيد اليماني: بهجة الزمن، ص ٢٤، الخزرجي: العسجد المسبوك ص ٢٦.

(٦) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٧) عبد المجيد اليماني: بهجة الزمن، ص ٢٤.

وهكذا مضى عمال بني العباس في اليمن بين جبار ومتشدد [1] ، وأهل اليمن في انتفاضة تلو انتفاضة، ولذلك فالغالب على المدد التي تولاها العمال العباسيون أنها قصيرة [2] وكان من بين هؤلاء العمال من سار في أهل اليمن سيرة العدل والرفق بهم والإصلاح في بلادهم، ومن هؤلاء محمد بن خالد ابن برمك ـ الذي كان أخاً ليحيى بن خالد البرمكي ـ جاء محمد بن خالد سنة (١٨٣ هـ/ ٧٩٩ م) خلفاً لأحمد بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن طلحة بن أبي طلحة الذي تولى أمر اليمن سنة «كان فيها تخليط عظيم باليمن» [3] على حد تعبير الجندي في السلوك.

سلك محمد بن خالد البرمكي مع أهل اليمن سياسة العدل والرفق، وفي أيامه شهدت صنعاء كثيراً من الإصلاحات منها أنه «جر الغيل إليها الذي يعرف بالبرمكي . . . ثم لما فرغ من عمارته جمع أهل صنعاء، وأقسم لهم الإيمان المغلظة أنه لم يصرف في جره شيئاً من مال السلطان، ولا من مال حرام ولا شبهة ثم وقفه على المسلمين» [4] كما بنى محمد بن خالد مسجداً بصنعاء عند سوق اللسانين، وكان «كثير الصدقة في جميع أحواله بحيث أنه كان إذا ركب حمل الدراهم في كمه، وكل من سأله شيئاً أناله، وكان في إصلاحه الطريق إلى مكة أمان وعمارة، وكان شديد التفقد على الرعية» [5] .

وعلى الرغم من ذلك فإن المؤرخين يتحدثون عن محاولات الخروج على الإدارة العباسية في اليمن لأسباب لم يذكروها مباشرة، ويبدو أنها أسباب تتعلق

---

(١) الجندي: السلوك، جـ ١، ص ٢١٢ (من هؤلاء الولاة العباس بن محمد الذي كان في زمن الرشيد، وقد ساءت سيرته، وقبحت آثاره فشكاه الناس، وحج الرشيد تلك السنة، فشكاه أهل اليمن إليه بمكة، فعزله بعد ستة أشهر، المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٠٧ ـ ٢١٥، عبد المجيد اليماني: بهجة الزمن: ص ٢٣ ـ ٢٩.

(٣) الجندي: السلوك، جـ ١، ص ٢١٣، (ويذكر اليماني أن أهل الجند ثاروا عليه، فعزله الرشيد، وعلى ذلك فعزله كان بسبب ثورة أهل الجَنَد، ولم تكن بسبب شكوى أهل اليمن للرشيد التي لم يعرها اهتماماً، عبد المجيد اليماني: بهجة الزمن، ص ٢٦، ٢٧.

(٤) الجندي: السلوك، جـ ١، ص ٢١٣.

(٥) المصدر السابق، ص ٢١٤،

باتجاه تكتلات يمنية شعبية كبيرة، وميلها نحو الاتجاه الشيعي، الذي نما نموا واضحاً في أعقاب خروج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي الملقب بالنفس الزكية، وظهوره بالمدينة، وإرساله العمال من قبله إلى اليمن. ولا شك أن أخماد ثورة محمد النفس الزكية، وقتله ألقت ظلالاً قاتمة على العلاقة بين أهل اليمن من الشيعة والعباسيين [١] . كما أصبحت اليمن ملاذاً للفارين من آل البيت الثائرين على العباسيين، فقد فر إلى اليمن يحيى بن عبد الله بن الحسين في أعقاب موقعة فخ [٢] . ظلت هذه التكتلات الشعبية الشيعية التي التفت حول هذه الرموز الشيعية المقهورة تمثل عوامل قلق سياسي واجتماعي كبير في اليمن.

إلى جانب ذلك يروي الجندي أن محمد بن خالد خرج يوماً إلى «سواد صنعاء، فوافى أهله وعليهم ثياب الصوف الأسود تسمى شِمالاً، وظنهم سُؤّالاً، فقال لخدمه تصدقوا على هؤلاء المساكين فقيل له: هؤلاء الرعية الذين تأخذ منهم الأموال فقال: ما ينبغي أن يؤخذ منهم شيء، ثم إنهم بطروا، وأرادوا الخروج عليه» [٣] ، ولا شك إن هذا النص يشير إلى أن الولاة لم يميزوا في جمعهم لمستحقات الدولة بين المحتاجين والمساكين، وبين الأغنياء والقادرين، وتشير رواية الجندي أيضاً إلى ثورة كبرى حدثت في أيام محمد بن خالد البرمكي في تهامة وبصفة خاصة في قبيلة علْك، وتبدو الأسباب الاقتصادية أيضاً واضحة وراء تفجر هذه الانتفاضات.

دفع الرشيد إلى اليمن بوال جديد، ويبدو أنه لم يقتنع بسياسة محمد بن خالد مع أهل اليمن فعزله، وأرسل إلى اليمن مولاه حمادا البربري سنة (١٨٤ هـ/ ٨٠٠ م) [٤] الذي كان من أقسى الولاة الذين حكموا اليمن، وطبقوا على أهله سياسة بالغة الجور والظلم.

ساءت العلاقة إلى حد بعيد بين أهل اليمن وحماد البربري، وكان ذلك بأمر

---

(١) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ١٣٤.
(٢) المصدر السابق: جـ ١، ص ١٣٩.
(٣) الجندي: السلوك، جـ ١، ص ٢١٤، الكبسي: اللطائف السنية، ص ٨ مع خلاف في اللفظ.
(٤) عبد المجيد اليماني: بهجة الزمن، ص ٢٧.

من الرشيد نفسه، الذي قال لحماد عندما عينه والياً على اليمن: «أسمعني أصوات أهل اليمن[1]». وواضح إن الرشيد قنن لحماد سياسته مع أهل اليمن، ولذلك عاملهم بالعسف والجبروت، وقتل عدداً كبيراً من رؤسائهم، وشرد كثيراً منهم في البلاد. كان لهذه السياسة أثرها الخارجي الظاهر، فأمنت الطرق، ورخصت الأسعار، وقدم الناس الخراج المعتاد وزادوا عليه رغبة في تجنب بطش حماد[2].

ولكن ذلك لم يحل دون نشوب ثورات اليمنيين ضده، فثار عليه، الهيصم بن عبد المجيد الهمداني، واعتصم في جبل مسور، وانضم إليه عمر بن أبي خالد الحميري بقشْتا، والصباح بحراز، واتفق الثلاثة على مقاومة حماد البربري لتخليص اليمنيين من ظلمه وجوره[3]. واستنجد حماد بالرشيد، فبعث إليه عشرة من القادة، انتصر بهم على هؤلاء الثوار وسيق الهيصم إلى الرشيد فضرب عنقه، وبقي أصحابه في سجن الرشيد إلى أن مات[4].

وأظهر حماد البربري يقظة بالغة في مقاومة المد الشيعي، الذي عظمت أوتاده في نفوس كثير من اليمانية، ففي أحداث سنة (١٨٦ هـ/ ٨٠٢ م)، يروي يحيى بن الحسين في غاية الأماني أن الإمام الشافعي جاء إلى اليمن، ودخل صنعاء فأخذ العلم عن قاضي صنعاء يومئذ، وهو هشام بن يوسف، وعن مطرف بن باذان، وعبد الرازق بن همام الصنعاني وعن إسحاق بن إبراهيم البربري، ولكن حمادا البربري، وجد خطورة من وجود الإمام الشافعي باليمن، فكتب إلى الرشيد يقول له: «إن كنت تريد بقاء الطاعة في اليمن أرسل للشافعي فإنه من دعاة الطالبيين، فأرسل له الرشيد، وحُمل إلى بغداد، فسجنه الرشيد»[5]. وهذه الرواية تؤكد ملاحقة الولاة العباسيين لتيار المد الشيعي في اليمن بشتى السبل والوسائل.

---

(١) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ١٤٣، الجندي: السلوك، جـ ١، ٢١٤.
(٢) نفس المصدرين السابقين، ونفس الصفحات.
(٣) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ٢٩، عبد المجيد اليماني: بهجة الزمن، ص ٢٧.
(٤) الكبسي: اللطائف السنية، ص ٨.
(٥) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ١٤٤، ١٤٥.

لذا فعلى المستوى الشعبي فقد تعب الناس وأُرهقوا من شدة الظلم، فلما حج الرشيد سنة (١٩٢ هـ/ ٨٠٧ م) اشتكى الناس له من حماد، ولما لم يهتم بشكايتهم «أغلظوا على الرشيد الكلام، فلم يجبهم، حتى إنهم قالوا: إن كان لك بحماد طاقة فاعزله عنا فلم يلتفت، ولم يزل حماد على اليمن حتى توفي الرشيد... فلبث حماد على اليمن سنة بعد موت الرشيد» [١].

بدأ الاتجاه الشيعي منذ نهاية القرن الثاني الهجري يظهر مؤثراً في إحداث الحياة اليمنية بوضوح شديد، ومن ناحية أخرى ظهر مؤثراً أيضاً في سياسة العباسيين تجاه اليمن فعلى المستوى الأول انضم أهل اليمن من الشيعة بصورة علنية لبعض الثورات العلوية على العباسيين، وأصبحوا طرفاً مؤثراً فيها، وعلى المستوى الثاني اضطر العباسيون إلى تهيئة الأوضاع لقيام أسر حاكمة في اليمن تتولى مسؤولية بقاء اليمن تابعة للخلافة العباسية، وفي مقابل ذلك أعطى العباسيون لأبناء هذه الأسر حكم دولهم ـ التي تحمل اسم أسرهم ـ خالفاً عن سالف، وكانت بعض هذه الأسر غير يمنية كأسرة بني زياد التي أقامت الدولة الزيادية في تهامة، وبعضها كان يمنياً خالصاً، كأسرة آل يعفر الحواليين في صنعاء.

وأحداث الفترة التي نحن بصددها تؤيد ذلك، فثورة محمد بن إبراهيم العلوي المشهور بابن طباطبا بالكوفة سنة (١٩٩ هـ/ ٨١٤ م) [٢]، وجدت تأييداً

---

(١) الجندي: السلوك، جـ١، ص ٢١٤، ٢١٥، وقد أورد الأكوع في مؤلفه الوثائق السياسية اليمنية، نص رسالة من أهل صنعاء يشتكون فيها حمادا البربري للخليفة الأمين، ورسالة أخرى من أهل صنعاء إلى وزير الأمين، الفضل بن الربيع، وكلا الرسالتين يعكس مرارة الحياة زمن حماد البربري، ومما في الرسالة الأولى قول أهل صنعاء للأمين: فالله الله «يا أمير المؤمنين لاستدراك أمة من المسلمين قد أذلها الظالمون، وأوهنها المجرمون، فأصبح خيارها ذاهبين، واغنياؤها مسلوبين، وفقراؤها محرومين، وأوساطها بكل فج هاربين»، ومما ورد في الرسالة الثانية قول أهل صنعاء لوزير الأمين الفضل بن الربيع: «ونتقرب إلى الله أن يكشف ما أصبحنا فيه ومن قبلنا من أهل الإسلام من جور عتاة ظلمة، قد سفكوا الدماء، وتركوا الوفاء، وارتكبوا العظائم، وانتهكوا المحارم، وأهلكوا العباد، وخربوا البلاد، ليسوا يخافون عقاباً، ولا يرجون ثواباً، يستهزؤون بالمسلمين، ويتعرضون لغضب رب العالمين»، انظر، محمد بن علي الأكوع: الوثائق السياسية اليمنية، ص ٢١٩ ـ ٢٢٢.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص ٥٢٨، ٥٢٩، ويروي الطبري عن سبب خروج محمد بن إبراهيم العلوي ما أشيع عن أن الفضل بن سهل، قد غلب المأمون، وأنه قد أنزله قصراً حجبه فيه عن=

كبيراً من الشيعة في اليمن، وكانت هذه الثورة، تحمل شعار الدعوة إلى الرضا من آل محمد، والعمل بالكتاب والسنة [1] . وانضم إلى هذه الثورة، أبو السرايا السري بن منصور الشيباني، فأصبح قائداً لجند الإمام محمد بن إبراهيم [2] . وقد سارع ابن طباطبا إلى إرسال إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، والياً من قبله على اليمن [3] . وقد وجد إبراهيم كثيراً من مظاهر التأييد من القبائل اليمنية المتشيعة في منطقة صَعْدة ـ التي كانت بؤرة التشيع في اليمن في ذلك الوقت ـ وكان من بين هذه القبائل بنو فطيمة من خولان [4] . وقد ارتكب محمد بن إبراهيم كثيراً من المذابح ضد خصوم العلويين في اليمن، حتى لقب بالجزار، وقد فر أمامه الوالي العباسي إسحاق بن موسى بن عيسى بن عباس وكره قتاله، وبذلك اتيحت لإبراهيم بن موسى فرصة الاستيلاء على اليمن دون مشقة [5] . وكان ذلك في سنة (٢٠٠ هـ/ ٨١٥ م) [6] .

ومضت ثورة العلويين في اليمن بقيادة إبراهيم بن موسى تقوم بدورها في تدعيم الثورة العلوية الأم في الكوفة، فحاول إبراهيم بن موسى الاستيلاء على مكة

= أهل بيته ووجوه قواده من الخاصة والعامة، وأنه يبرم الأمور على هواه، ويستبد بالرأي دونه، فغضب لذلك من بالعراق من بني هاشم، وهاجت الفتنة بالأمصار، فكان أول من خرج بالكوفة محمد بن إبراهيم العلوي (ابن طباطبا)، كما يروي الطبري سبباً آخر وهو أن أبا السرايا ـ وكان من رجال هرثمة ـ فأخر هرثمة عنه أرزاقه، فغضب أبو السرايا من ذلك، ومضى إلى الكوفة، فبايع محمد ابن إبراهيم (ابن طباطبا)، وأخذ الكوفة، واستوثق له من أهلها بالطاعة، المصدر السابق، جـ ٨، ص ٥٢٩، وانظر، ابن الأثير: الكامل جـ ٦، ص ٣٠٢ ـ ٣٠٤.

(١) المصدر السابق، جـ ٦، ص ٣٢٠، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ ٨، ص ٥٢٨، ٥٢٩، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ١٤٨.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ ٨، ص ٥٢٩.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة، الجندي: السلوك، جـ ١، ص ٢١٦.

(٤) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ١٤٨، ١٤٩.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ ٨، ص ٥٣٦، العرشي: بلوغ المرام، ص ٣١، د. عصام الدين عبد الرؤوف: اليمن في ظل الإسلام، ص ٨٠، عبد المجيد اليماني: بهجة الزمن، ص ٢٨، ٢٩.

(٦) المصدر السابق، ص ٢٩، (ورواية اليماني هنا تختلف عن المصادر الأخرى فيذكر إن الحسن بن الحسن الطالبي المعروف بالأفطس هو الذي بعث إبراهيم بن موسى إلى اليمن، وليس محمد بن إبراهيم العلوي (ابن طباطبا) المصدر السابق، نفس الصفحة).

والحجاز، وربما كان ذلك رغبة منه في ربط جبهة اليمن والحجاز بجبهة الكوفة لتقف معها في صعيد واحد ضد العباسيين، خاصة وأن هذه الجبهة الأخيرة أخذت توسع من مناطق نفوذها حول الكوفة، فسارت الجيوش إلى البصرة ونواحيها، وأرسل ابن طباطبا عماله إلى فارس والأهواز وواسط والمدائن [١] . ويروي ابن الأثير أن الجند الذين أرسلهم إبراهيم بن موسى بقيادة رجل من ولد عقيل بن أبي طالب ليحج بالناس لم يتمكنوا من دخول مكة، فأقاموا خارجها في بستان ابن عامر، وفي تلك الأثناء مرت بهم قافلة عباسية تحمل كسوة الكعبة وطيبها، «فأخذ أموال التجار وكسوة الكعبة وطيبها، وقدم الحجاج ـ من هذه القافلة ـ مكة عراة منهوبين» [٢] .

وكان أبو إسحاق المعتصم يحج في هذا العام، ومعه جماعة من قادة العباسيين، فبادروا إلى إرسال نخبة من مائة فارس يقودهم الجلودي ـ أحد القادة من العباسيين ـ فقاتل جيش إبراهيم بن موسى وهزمه، وأسر أكثره، وأخذ كسورة الكعبة، وأموال التجار، ولاذ الآخرون بالفرار إلى اليمن في أسوأ حال حتى إنهم كانوا يستطعمون الناس، وهلك أكثرهم في الطريق جوعاً وعرياً [٣] .

وفي نفس الوقت منيت هذه الثورة العلوية، بضربات قوية من العباسيين، في أعقاب وفاة ابن طباطبا، أو اغتياله وتدهور موقف أبي السريا العسكري أمام قوات العباسيين، وانتهاء الثورة بالقبض على أبي السرايا وقتله في ربيع الأول سنة (٢٠٠ هـ/ ٨١٥ م) [٤] . وعلى أثر ذلك رأى إبراهيم بن موسى أن يطلب

---

(١) ابن الأثير، الكامل، جـ ٦، ص ٣٠٥.
(٢) المصدر السابق، ص ٢١٣، ٢١٤.
(٣) ابن الأثير، الكامل، جـ ٦، ص ٢١٤، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ ٨، ص ٥٤١.
(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ ٨، ص ٥٣٥ (ويشير الطبري إلى أن خلافاً وقع بين أبي السرايا وابن طباطبا، وأن هذا الخلاف كان حول ما حصل عليه ابن طباطبا مما في عسكر زهير بن المسيب ـ الذي أرسله الحسن بن سهل للقضاء على ثورة ابن طباطبا العلوي ـ من المال والسلاح والدواب وغير ذلك، حيث منع ابن طباطبا أبا السرايا من هذا كله، فعلم أبو السرايا «أنه لا أمر له معه (ابن طباطبا) فسمه» وأقام مكانه غلاماً حدثاً يقال له محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ومنذ ذلك الوقت أصبح أمر هذا الثورة في يد أبي السرايا، حتى هزمه هرثمة بن أعين، =

الأمان من الخليفة المأمون، فأمنه، وقضى بقية عمره في بغداد إلى أن توفي في سنة (٢١٠ هـ/ ٨٢٥ م)[١].

ولم يكتف اليمنيون بتأييد الثورات العلوية خارج اليمن، والمشاركة في أحداثها، وإنما قاموا أنفسهم بثورات علوية داخلية، كان ذلك في سنة (٢٠٧ هـ/ ٨٢٢ م)، حيث خرج عبد الرحمٰن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، وكان خروجه في بلاد عكْ، يدعو إلى الرضى من آل محمد ﷺ[٢] وقد ساند اليمنيون في غير بلاد عك هذه الثورة، التي تطلعوا إليها على أنها المخلص لهم من ظلم الولاة العباسيين وجبروتهم، وقد أشار إلى ذلك الطبري عندما قال: «وكان السبب في خروجه أن العمال باليمن أساؤوا السيرة»[٣]. وما أن علم المأمون بأنباء هذه الثورة حتى أرسل إلى اليمن «دينار بن عبد الله في جيش جرار، وكتب معه بأمان لعبد الرحمٰن فحضر دينار الموسم وحج بالناس، ثم توجه إلى اليمن، وبعث بالأمان إلى عبد الرحمٰن فقبله، ودخل في طاعة المأمون»[٤]. ويبدو أنه آثر السلامة لما رأى أنه لا قبل له بجيش الخلافة.

وكان المأمون قد أدرك خطورة الأوضاع في اليمن، وأن السياسة التقليدية التي جرى عليها الخلفاء العباسيون، والتي تقوم على إرسال عمال مَن قبلهم إلى اليمن، وجهل كثير من هؤلاء العمال بحقيقة الأوضاع القبلية والمذهبية في اليمن ستؤدي في النهاية إلى مزيد من الثورات التي قد تؤذن بإنفصال اليمن عن الخلافة، وكانت سياسة المأمون الجديدة تقوم على أساس فصل إقليم تهامة اليمن ـ السني المذهب ـ عن نجد اليمن أو مناطق الجبال التي تسيد فيها الاتجاه الشيعي. وعمد

= وقبض عليه عند جلولاء، وسيق إلى النهروان حيث قتل، المصدر السابق، ص ٥٣٤، ٥٣٥، ابن الأثير: الكامل، جـ ٦، ص ٣٠٩.

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة، د. عظام الدين عبد الرؤوف: اليمن في ظل الإسلام، ص ٨١.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ ٨، ص ٥٩٣، يحيى ابن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ١٥١، ١٥٢.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ ٨، ص ٥٩٣.

(٤) يحيى بن الحسين، غاية الأماني، جـ ١، ص ١٥٢.

المأمون إلى إسناد مهام الحكم والإدارة في اليمن إلى أسر تابعة سياسياً للخلافة العباسية، فظهرت في الأفق السياسي في هذه الفترة أسرة بني زياد وعلى رأسها محمد بن زياد، الذي منح حكم تهامة اليمن، وأبناؤه من بعده خالفاً عن سالف سنة (٢٠٣ هـ/ ٨١٨ م) (١) على أن تكون مهمته الأساسية، المحافظة على بقاء اليمن تابعة للخلافة العباسية، وعلى سيادة المذهب السني بها (٢).

لاقت سياسة المأمون نجاحاً كبيراً، حتى إن الخلفاء العباسيين الذين جاؤوا من بعده عمدوا في توجيه سياستهم في بلاد اليمن منذ النصف الثاني من القرن الثالث الهجري إلى تأييد أية قوة سياسية سنية جديدة ناشئة في اليمن ومنحوها الشرعية بصورة لا تتعارض مع الشرعية السياسية التي منحوها قبل ذلك لحلفائهم الزياديين ـ منذ نصف قرن ـ وذلك لمواجهة خطر الاتجاهات المذهبية التي شرعت في الظهور بحدة في بلاد اليمن نتيجة لضعف الدولة العباسية، وكانت هذه القوة السنية الجديدة التي ظهرت هي قوة بني يعفر الحواليين في نجد اليمن في مناطق الجبال واتخذوا من صنعاء عاصمة لهم وكان على رأسهم الأمير محمد بن يعفر بن عبد الرحيم الحوالي الذي أخذ البيعة في مناطق نفوذه التي اشتملت على صنعاء ومخاليفها والجند وحضرموت للخليفة العباس المعتمد على اللّه أبي العباس أحمد بن جعفر المتوكل (٣). فلما وصل خبره في سنة (٢٥٧ هـ/ ٨٧٠ م) إلى المعتمد كما يذكر الخزرجي: «كتب إليه بنيابته على صنعاء ومخاليفها» (٤).

وفي نفس الوقت الذي كانت تحدث فيه هذه التحولات الكبرى في سياسة

---

(١) المصدر السابق، ص ١٥٠، الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ٣١.

(٢) (كان ذلك على غرار ما فعله الرشيد في بلاد المغرب حين أعطى أسرة الأغالبة حكم إفريقية ـ التي تتوسطها القيروان ـ فأسس الأغالبة هناك دولتهم التي قامت حاجزاً في بلاد المغرب يمنع تسرب الفكر الخارجي الأباضي) الذي كانت تمثله الدولة الرستمية في المغرب الأوسط، والخطر العلوي ممثلاً في الأدارسة في المغرب الأقصى إلى مصر وبقية أجزاء الدولة العباسية في المشرق، انظر، ابن الأثير: الكامل، جـ ٦، ص ١٥٦، ١٥٧، ابن خلدون: العبر، طبعه دار الكتاب اللبناني، جـ ٤، ص ٤١٩).

(٣) زبارة: أئمة اليمن، مطبعة النصر بتعز ١٩٥٢، ص ٨، الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ٣٣.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.

العباسيين، كانت معالم الاتجاه الشيعي تبرز أكثر وضوحا عن ذي قبل، فإذا، كانت قبل ذلك تأخذ صورة التمرد أو التذمر أو الثورة، فإنها منذ النصف الثاني من القرن الثالث الهجري أخذت شكل التفاعل القوى مع اتجاهات المذهب الشيعي خارج اليمن، وسعى أصحاب هذه الاتجاهات إلى تأسيس دول على أساس من المذهب الشيعي، وظهر من خلال ذلك اتجاهان رئيسيان أحدهما الاتجاه الشيعي الإسماعيلي، والآخر الاتجاه الشيعي الزيدي.

الفصل الرابع

الاتجاه الشيعي الإسماعيلي

شهدت بلاد اليمن خلال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري نشاطاً ملحوظاً للدعوة الإسماعيلية تلك الدعوة التي تُنسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق المتوفي سنة (١٤٥ هـ/ ٧٦٢ م). وكان نشاط هذه الدعوة على يد الداعيين الإسماعيليين أبو القاسم رستم بن الحسين بن حوشب، وعلي بن الفضل اليماني، حيث التقى الاثنان بالإمام الإسماعيلي المستور الحسين بن أحمد في الكوفة (١) ، وكلفهما بنشر المذهب الإسماعيلي في اليمن، وبعد مرحلة من التلقي لتعاليم الدعوة وأسرارها، ذهباً إلى اليمن في سنة (٢٦٨ هـ/ ٨٨١ م) (٢) وتذكر بعض المصادر اليمنية أنهما اتصلا بميمون القداح، وليس بالإمام المستور الحسين بن أحمد (٣) .

---

(١) إدريس عماد الدين القرشي: عيون الأخبار وفنون الآثار، تحقيق: د. مصطفى غالب، دار الأندلس بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٦، السبع الرابع، ص ٣٩٥، ٣٩٦، د. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية، دار الأندلس، بيروت الطبعة الثالثة ١٩٧٩، ص ١٥٥، Lewis, B. the Arabs in History, (Great Britain, 1970), P. 106, ويجعل برناردلويس ١٤٨ تاريخاً لوفاة الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق)، (ولد الحسين بن أحمد ـ الملقب بعبد الله الرضى ـ سنة (٢١٢ هـ)، وقيل سنة (٢٢٨ هـ) في الرّيّ، وبعد وفاة أبيه أصبح إماماً للإسماعيلية، وانتقل إلى همدان، ثم إلى أذربيجان، ثم استقر الأمر به في سلمية. وهناك اهتم كثيراً بالدعوة، وبتوزيع الدعاة على مختلف المناطق في العالم الإسلامي، ويذكر البعض إن مركز الدعوة في سلمية كان يتصل بالدعاة في المناطق الأخرى عن طريق الحمام الزاجل، المصادر والمراجع السابقة، نفس الصفحات).

(٢) إدريس عماد الدين: عيون الأخبار، السبع الخامس، ص ٣٢، د. محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي ١٩٧٦، ص ٦٩.

(٣) الكبسي: اللطائف السنية، ص ١٣٠، الصنعاني: إتحاف ذوي الفطن، بمختصر أبناء الزمن، =

فإذا علمنا أن ميمون القداح كان حجة للإمام الحسين بن أحمد [1] . فلذلك يمكن التوفيق بين هذه الروايات، فلا يصبح هناك تناقض بينهما، فلعل ابن حوشب وعلي بن الفضل بعد صدور التكليف إليهما من الإمام المستور الحسين بن أحمد، قد جلسا إلى ميمون القداح حجة الإمام، وفيلسوف الدعوة ليحفظا عنه أسرارها وطرق تلقينها للمستجيبين إليهم من أهل اليمن، وواضح من المستوى الفكري الذي بلغه ابن حوشب، أنه خضع لتدريب كبير، وتلقن الكثير من أسرار الدعوة، ودقائق مذهبها، وقد أهله هذا المستوى الفكري الرفيع في مجالات الدعوة إلى أن يؤسس في اليمن مدرسة للدعاة تتلمذ فيها أبو عبد اللّه الشيعي، الذي قام بنشر المذهب الإسماعيلي في بلاد المغرب، يدل على ذلك ما ذكر في عيون الأخبار، من أن الإمام في سلمية أرسل أبا عبد اللّه الشيعي إلى اليمن، وأمره «أن يمتثل مثالة (ابن حوشب) ويحذو حذوه، ويتبع سيرته، ويقفوه في أعماله وأفعاله، ويأتمر بأمره في جميع أحواله» [2] .

إتجه ابن حوشب بعد وصوله إلى اليمن إلى عدن لاعة، التي كانت تضم أعداداً كبيرة من الشيعة بايعوه، وأخذ عليهم العهد بمناصرته، وكانوا كما يذكر الجندي خمسمائة رجل، قوى بهم أمره، وابتنى بما جمعه منهم من زكاة وصدقات، حصناً كبيراً في موضع بجبل لاعة يقال له (عبر محرم) [3] .

اتسع نفوذ ابن حوشب، ونجح في ضم جهات كثيرة من اليمن في غرب صنعاء إليه، فاستولى على جبل الجميمة، ورأس مسور، وبلاد عيبان، وبني شاور، وحملان، وفاذر وشِبَام حمير، وجبل كوكبان، ودورم [4] «وما زال يحوز

= ص ١٦، الجرافي: المقتطف، ص ٧١، وعن الأئمة في دور الستر، أنظر الكرماني: الرسالة الوضية في معالم الدين وأصوله، تحقيق: د. محمد الحريري، دار القلم، الكويت ١٩٨٧، ص ٤٦.

(١) د. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية، ص ١٥٥.

(٢) إدريس عماد الدين: عيون الأخبار، السبع الخامس، ص ٣٩.

(٣) الجندي: السلوك، جـ ١، ص ٢٣٤، إدريس عماد الدين: عيون الأخبار، السبع الخامس، ص ٣٨، ٣٩، د. محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٦٩.

(٤) الجندي: السلوك، جـ ١، ص ٢٣٤، إدرس عماد الدين: عيون الأخبار، السبع الخامس، ص ٣٩، (رأس مَسْوَر: مخلاف من بلاد حراز إليه ينسب حصن مَسَار، الحجري: مجموع بلدان اليمن =

المعاقل، ويملك مدن اليمن الجلائل، وأقبل الناس إليه طوعاً وكرهاً. . . وقويت في أرض اليمن دعوته وعلت كلمته»[(١)] . ولم يكتف ابن حوشب بذلك بل جعل من اليمن ـ كما ذكرنا ـ مدرسة كبرى لتدريب الدعاة، وتوجيههم إلى جهات العالم الإسلامي ينشرون في أنحائه المذهب الإسماعيلي، فأرسل داعياً يعرف بالهيثم إلى بلاد السند، وأرسل إلى مصر الداعي أبو القاسم محمد بن عبد الله بن العباس، وبعث إلى بلاد المغرب أبو عبد الله الداعي الشيعي[(٢)] .

أما علي بن الفضل فنزل سرو يافع، وهناك أظهر التنسك، وتظاهر بكثرة العبادة، حتى افتتن به الناس وقلدوه أمرهم وجعلوا حكمهم إليه فسألوه أن ينزل من ذلك الجبل، ويسكن بينهم فقال: «لا أفعل هذا ولست أسكن بين قوم جهال ضُلال إلا أن يعطوني العهود والمواثيق ألا يشربوا الخمر ففعلوا له ذلك، وأنهم ينكرون المنكر وينكرون على أهل المعاصي بأجمعهم، فلم يزل يخدعهم حتى بلغ إلى إرادته، وأمرهم ببناء حصن في ناحية سرو يافع فأطاعوه وسمعوا لأمره»[(٣)] .

قدر للحركة الإسماعيلية أن تزدهر وتنشط، فلاقى على بن الفضل كثيراً من النجاح على خصومة السنيين آل يعفر الحواليين في صنعاء، فاستولى عليها، وضمها إلى مناطق نفوذه سنة (٢٩٧ هـ/ ٩٠٩ م)[(٤)] . وأضاف إليها جهات أخرى

= وقبائلها، جـ ٢، ص ٧٠٧، عَيْبَان: أحد جبلي صنعاء والآخر نُقُم، المصدر السابق، جـ ٢ ص ٦١٩، بني شاوِر: من بطون قبيلة حاشِد وبلاد شاور في كُحْلان من نواحي حَجْة، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٤٤١، حُمْلان: بلد من بلاد حَجْة، المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٨١، شِبَام حِمْير: بكسر الشين اسم مشترك بين أربعة بلدان في اليمن وهي: شِبَام كَوْكَبان، وهي المقصودة هنا، وقد يقال لها شِبام حمير، أما الأسماء الباقية، فهي شِبام حَرَازْ، أو شِبَام الغَرَاسْ، وشِبَام حضرموت، المصدر السابق، ص ٤٤١، جبل كَوْكَبان: جبل قرب صنعاء على مسافة مرحلة واحدة منها، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٦٦٩، دَوْرَم: في طَيْبة بوادي ضَهر قرب صنعاء، المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٣٤).

(١) إدريس عماد الدين: عيون الأخبار، السبع الخامس، ص ٣٩.

(٢) إدريس عماد الدين: عيون الأخبار، السبع الخامس، ص ٤٤. Lewis, B., Op. cit, P. 111.

(٣) الحمادي اليماني: كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، نشر: عزت العطار، مطبعة الأنوار ١٩٣٩، ص ٢٨، الجندي: السلوك، ٢٣٨.

(٤) الحمادي اليماني: كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٢٨، الجندي: السلوك، ص ٢٣٨، =

تابعة لبني زياد، امتد إليها سلطانه كالمِهْجم والكدراء وزبيد [١] . كما أحرز انتصارات أخرى عديدة على الزيدية الذين حاولوا بقيادة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين - مؤسس دولة الأئمة الزيدية في اليمن - زحزحته دون جدوى عن صنعاء، ولكنه تمكن من التصدي لهم [٢] . واتخذ علي بن الفضل من مدينة المديخرة التي كانت تقع على المرتفعات العليا المطلة على وادي زبيد عاصمة للدولة الإسماعيلية الوليدة [٣] .

وأمام هذه الانتصارات الكبرى التي أحرزها الاتجاه الشيعي الإسماعيلي، أرسل ابن حوشب - الذي لقبه الإسماعيلية في هذه الآونة (منصور اليمين) - إلى عبيد اللّه المهدي الإمام المستور في سلمية بالشام يخبره بأن بلاد اليمن أصبحت مستعدة ومهيئة لاستقباله لإقامة دولة المهدي فيها، وكانت المخاطر في ذلك الوقت كثيرة تحيط بالمهدي من كل جانب في سلمية، والعباسيون يجدون في طلبه، وبات محتماً عليه أن يرحل عن الشام [٤] . وفي نفس الوقت، كانت الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب تلاقي نجاحاً كبيراً، حيث نجح أبو عبد اللّه الداعي في القضاء على مجموعة الدول الإقليمية في بلاد المغرب، ويلح هو الآخر في استدعاء المهدي إلى بلاد المغرب، حيث القوة والأمن والأمان [٥] .

كان على عبيد اللّه المهدي أن يختار بين اليمن أو بلاد المغرب لإقامة دولته، والذي يبدو أن عبيد اللّه المهدي فضل بلاد المغرب على اليمن، وإن أظهر

= وانظـــر: Geddes, C.L., the Apostasy of Alis B.al Fadl, (Arabian and Islamic Studies University of Cambridge 1976), P. 81.

(١) المصدر السابق، ص ٢٣٩ (المِهْجم: بلد من أعمال زبيد باليمن بينها وبين زبيد ثلاثة أيام: البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ ٣، ص ١٣٣٧، الكَدْراء: بالمد مدينة على رأس وادي سِهَام، المصدر السابق، جـ ٣، ص ١١٥١).

(٢) علي بن محمد العلوي: سيرة الهادي إلى الحق، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨١، ص ٣٨٩ وما بعدها.

(٣) Geddes, C.L., Op. cit, P. 81.

(٤) د. محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٧٠.

(٥) المرجع السابق، نفس الصفحة، د. السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٦، ص ٥٩٨، ٥٩٩.

أنه يريد اليمن عند خروجه سراً من سلمية [١] . لأن بلاد المغرب كانت أكثر أمانا لإقامة الدولة الإسماعيلية بها، فأبو عبد اللّٰه الداعي قضى على الأغالبة ممثلي الخلافة العباسية في بلاد المغرب [٢] . ولم يكتف بذلك بل قضى أيضاً على الدولة الرستمية الأباضية الخارجية سنة (٢٩٦ هـ/ ٩٠٨ م). [٣] واستولى على دولة الخوارج الصفرية في سجلماسة [٤] . وضم إليه دولة الأدارسة العلوية وعاصمتها فاس [٥] . يضاف إلى ذلك أن بلاد المغرب كانت بعيدة عن مركز الخلافة العباسية في بغداد، كما أن بلاد الأندلس كانت مقراً للدولة الأموية الثانية وهؤلاء بينهم وبين العباسيين عداء متأصل، وعلى ذلك فليست هناك أية قوة محلية يمكن أن تتعاون مع العباسيين ضد الإسماعيلية هناك، وتسمح بالقيام بأدنى حد من المقاومة ضد هذه الدعوة الجديدة الوافدة إلى بلاد المغرب.

أما بلاد اليمن، فعلى الرغم من النجاحات الكبيرة التي حققها ابن حوشب وعلي بن الفضل في ضم أجزاء كبيرة من اليمن إليهما إلا أن عبيد اللّٰه المهدي كان يرى أن بلاد اليمن قريبة من بغداد، وأن العباسيين الذين يبسطون نفوذهم على الجزيرة العربية، ولهم ممثلون شرعيون يحكمون أجزاء كبيرة من بلاد اليمن، ويمثلون في نفس الوقت الاتجاه السني القوى الذي يعتنقه الغالبية العظمى من أهل اليمن، وهم بنو زياد في عاصمتهم زبيد في تهامه [٦] . وآل يعفر الحواليين في عاصمتهم صنعاء [٧] . وهؤلاء يمكن بسهولة أن يتعاونوا مع العباسيين للقضاء على دولة عبيد اللّٰه المهدي إن هو حاول إقامتها في اليمن.

---

(١) د. محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٧٠.

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، طبعة دار الثقافة بيروت جـ ١، ص ١٤٩، ١٥٠. Glubb, J., Ashort History of the Arab Peoples, (Great Britain, 1978), P. 142.

(٣) د. السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ص ٤٠٦ د. محمد الحريري: مقدمات البناء السياسي للمغرب الإسلامي، دار القلم الكويت، الطبعة الثانية ١٩٨٣، ص ١٨٥، ١٨٦.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، جـ ١، ص ١٥٧.

(٥) د. السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ص ٤٨٤.

(٦) د. محمد الحريري: معالم التطور السياسي في دولة بني نجاح في اليمن، دار القلم الكويت ١٩٨٤، ص ١٥، ١٦.

(٧) المرجع السابق، ص ١٦.

يضاف إلى ذلك السبب أن عبيد اللّه المهدي عمد إلى تحقيق رغبة أبيه في إقامة دولته بالمغرب، الذي كان قد قال حين بلغه نجاح ابن حوشب وعلي بن الفضل في نشر الدعوة إلى المهدي في اليمن: «هذه دولتك قد قامت، لكن لا أحب ظهورها إلا من المغرب» (١) . وهذا يؤكد وجهة النظر السابقة، والتي تشير إلى أن زعماء الحركة الإسماعيلية في سلمية كانوا يفضلون بلاد المغرب على اليمن للأسباب التي ذكرناها.

وليس هناك من أدلة صحيحة حول ما ذكره البعض من أن عبيد اللّه المهدي توجه إلى بلاد المغرب، وعدل عن إقامة دولته في اليمن، بسبب ما بلغه عن إنحراف علي بن الفضل عن الدعوة الإسماعيلية، وإساءته السيرة في بلاد اليمن، وذلك لأن خروج علي بن الفضل ومناهضته للدعوة الإسماعيلية، كان بعد وصول عبيد اللّه المهدي إلى بلاد المغرب واستقراره هناك (٢) .

وجد علي بن الفضل في اتجاه عبيد اللّه المهدي إلى بلاد المغرب فرصة كبيرة للاستقلال بملك اليمن والسيطرة عليه، وعاونه في ذلك أحد الدعاة المنشقين على عبيد اللّه المهدي ويسمى فيروز، وكان هو الآخر قد سجل اعتراضه على ذهاب المهدي إلى المغرب، وتخلف عن السير معه، ومضى إلى اليمن ليجد بغيته هناك مع علي بن الفضل، بينما فطن ابن حوشب إلى موقف فيروز عن طريق رسالة أرسلها عبيد اللّه المهدي إلى ابن حوشب أوضح له فيها موقف الداعي فيروز وعصيانه له، وكان لهذه الرسالة الأخيرة أثرها الكبير في مسارعة علي بن الفضل إلى إعلانه خلع طاعة عبيد اللّه المهدي الخليفة الفاطمي في بلاد المغرب (٣) .

على أثر هذه التطورات الأخيرة تردي دعاة الدعوة الإسماعيلية في اليمن في

---

(١) د. محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٧١، الجندي: أخبار القرامطة باليمن المنقول من كتاب السلوك في طبقات الموالي والملوك، ص ٤٢.

(٢) المقريزي: إتعاظ الحنفا، تحقيق: د. جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٤٨، جـ١، ص ٦، د. محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٧١، ٧٢.

(٣) د. محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٧٢، ٧٣، Geddes, c.l., Op, cit, p.81

صراع دموي عنيف، فقد حاول ابن حوشب أن يعيد علي بن الفضل إلى صفوف الدعوة، وإلى سابق طاعته للإمام المهدي، فكتب إليه يعاتبه ويقول له: كيف تخلع من لم تنل خيراً إلا به وبركة الدعاء إليه، فما تذكر ما بينك وبينه من عهود، وما أخذ علينا جميعاً من الوصية على الاتفاق وعدم الافتراق» [1] . فرد عليه ابن الفضل رافضاً ذلك منه وقال له: «إن لي بأبي سعيد الجنابي أسوة، إذ قد دعا إلى نفسه، وأنت (ابن حوشب) إذا لم تنزل إلى طاعتي وتدخل بإجابتي نابذتك الحرب» [2] .

وتذكر روايات المؤرخين أن ابن الفضل جهز جيشاً من عشر آلاف رجل من بين الرجال المعدودين في جيشه حاصر بهم ابن حوشب في جبل فائش - بالقرب من جبل مسور - ثمانية أشهر، ولم يفك الحصار عنه إلا بعد أن قدم ابن حوشب ولداً من أولاده ليكون رهينة عند علي بن الفضل دلالة على خضوعه واستكانته، كان ذلك في سنة (٢٩٩ هـ/ ٩١١ م) [3] .

حتى هذه الآونة كان الاتجاه الإسماعيلي في اليمن يعمل بفكر واحد مستمد من تعاليم الأئمة الإسماعيلية في سلمية، وهي تعاليم سرية بالغ دعاة الإسماعيلية في اليمن وفي غيرها، في المحافظة على سريتها، وكانت تلقن للإتباع والمستجيبين للدعوة على نحو دقيق جداً للغاية، وفي غاية شديدة من التكتم، وهذا ما يلقي شيئاً من الغموض الكثيف على تفاصيل الدعوة الإسماعيلية في اليمن في هذه الفترة، إلا أن الواضح أن الدعاة عمقوا في هذه المرحلة فكرة أساسية في نفوس إتباعهم، وهي فكرة الإمامة بمفهومها الإسماعيلي، وكانت أهم المبادىء الإسماعيلية التي حملها الدعاة ترتبط بفكر الأئمة الإسماعيلية في دور الستر [4] ،

---

(١) الجندي: السلوك، ص ٢٤٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٤٠، ٢٤١.

(٣) ابن الديبع: قرة العيون، تحقيق محمد بن علي الأكوع، طبعة المطبعة السلفية بالقاهرة، ص ٢٠٥، الجندي: السلوك، ص ٢٤١، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ٢٠٢، (جبل فائش: من ناحية مسور المنتاب من بلاد حاشد، انظر، الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، جـ ٢، ص ٦٣١.

(٤) يتسلسل هؤلاء الأئمة كل في دوره على النحو التالي: إسماعيل ابن جعفر الصادق (ت: ١٤٥)، وهو=

وكذلك بفكر علماء الدعوة وفلاسفتها ومفكريها [1] ، منذ ظهور فرقة الإسماعيلية زمن الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق حتى ذلك الوقت الذي وصلت فيه الدعوة إلى اليمن على يد ابن حوشب وعلي بن الفضل.

وتتضح أهم معالم المذهب الإسماعيلي في المبادىء التي حرص ابن حوشب وعلي بن الفضل على نشرها بين إتباع الدعوة في اليمن ومن هذه المبادىء.

١ ـ **توحيد اللّه تعالى**، وتنزيهه عن كل الأشياء، وعبادته تعالى بالعلم والعمل، والعمل هو الظاهر، وهو العبادة العملية، والعلم هو الباطن، وهو العبادة العلمية، وعند الإسماعيلية أن العمل بإحدى العبادتين دون الأخرى كفر وخسران في الآخرة [2] .

٢ ـ **القول بالوصاية**: وهي عندهم مرتبة خادمة للنبوة، والنبوة والرسالة لا انتفاع بهما إلا بالوصاية، وهي مرتبة أقل مرتبة من مرتبة النبوة، ومهمة الوصي عندهم التأويل لما جاء في ظاهر الرسالة، وكشف ما في هذا الظاهر من العجائب والغرائب [3] .

٣ ـ **الإمامة**: وهي مرتبة لاحقة بمرتبة النبوة والوصاية، يقوم صاحبها مقام

= أول إمام مستور عند الإسماعيلية، ثم محمد بن إسماعيل الملقب (بمحمد الحبيب)، فعبد اللّه بن محمد (ت ٢١٢) ولقب (بالوفي)، وبعده كان الإمام أحمد بن عبد اللّه الملقب (بمحمد التقي)، ثم الإمام الحسين بن أحمد (ت: ٢٨٩) ولقبه (عبد اللّه الرضى)، وهو الإمام الذي التقى به ابن حوشب وعلي بن الفضل في الكوفة، انظر، د. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية، ص ١٢٩، ١٥٧، Glubb. J., Op. cit, P. 140.

(١) من علماء الدعوة الإسماعيلية وفلاسفتها ومفكريها في هذه الفترة: ميمون القداح الذي كان كما ذكرنا حجة للإمام الحسين بن أحمد، وعاش في هذه الفترة أيضاً الداعي الإسماعيلي أبو عبد اللّه محمد بن أحمد النسفي، وأبو حاتم الرازي داعي الديلم، وأبو يعقوب السجستاني، وقد امتد العمر ببعضهم حتى القرن الرابع الهجري، انظر، الكرماني: الرسالة الوضية، ص ٢٣، ٢٤.

(٢) الكرماني: الرسالة الوضية في معالم الدين وأصوله، ص ٣٩، د. محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى ١٩٥٩، ص ١٥٠، د. مصطفى غالب: الحركات الباطنية في الإسلام، دار الأندلس بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٢، ص ٩٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٤.

رسول الله ﷺ لذا قالوا إنها ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة [١] . ولذلك فمصادر التشريع عند الإسماعيلية تنحصر في الكتاب والسنة والإمام، فلا قياس عندهم ولا استدلال، ولا رأي ولا اجتهاد ولا استحسان ولا نظر، بل إن عقيدتهم تتضمن ضرورة الاعتقاد بخطأ القول بالرأي والقياس والاجتهاد والاستحسان [٢] ، وقالوا بعصمة الأئمة «فالأنبياء والأوصياء والأئمة عندهم غاية ما في عالم الإنسان، لأن كل واحد منهم هو الطريق إلى الملائكة الكرام» [٣] .

٤ ـ **التأويل**: يرى الإسماعيلية أن لكل شيء ظاهر محسوس، تأويلاً باطنياً لا يعرفه إلا الراسخون في العلم وهم الأئمة، وهؤلاء الأئمة يلقنون هذا العلم لكبار الدعاة بقدر مخصوص، وقالوا بأن النبي ﷺ خص بالتنزيل، وعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ خص بالتأويل، وأورثه الأئمة من أعقابه بأمر من الله تعالى وعلى ذلك فالأئمة هم الذين يدلون الناس على أسرار الدين وليس لأحد غيرهم هذا الحق [٤] .

وقد فتح هذا الباب لدخول كثير من التأويلات الباطنية المتأثرة بالأفكار الدينية الهندية والأفلاطونية الحديثة، التي أبعدت الإسماعيلية عن حقيقة الإسلام.

وإلى جانب هذه المبادىء، وهذه الأمور العامة الأساسية في المذهب الإسماعيلي، أوجب الإسماعيلية على إتباعهم أن يعاشروا أهل الظاهر من أصحاب المذاهب الأخرى بالعبادة العملية وهي (الشهادتين والطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد) واعتمدوا في ذلك في الموروث من تفاصيل الفقه الجعفري عن الإمام جعفر الصادق، وأمر الإسماعيلة إتباعهم أن يستروا ما عرفوه

---

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة، د. أحمد شلبي: السياسة في الفكر الإسلامي، (موسوعة النظم والحضارة الإسلامية) مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الخامسة، ص ١٠٧ .

(٢) الكرماني: الرسالة الوضية، ص ٤٥، علي بن محمد الوليد: تاج العقائد ومعدن الفوائد، تحقيق: عارف تامر، دار المشرق بيروت، ص ٢٨٢ .

(٣) علي بن محمد الوليد: كتاب الذخيرة في الحقيقة، تحقيق: محمد حسن الأعظمي، دار الثقافة بيروت ١٩٧١، ص ٦١، Lewis, B., Op. cit, P. 106.

(٤) الكرماني: الرسالة الوضية، ص ٤٩، ٥٠، Lewis, B., Op. cit, P. 107.

من أئمتهم من أسرار اللّه تعالى في خلقه (التأويل) وأسرار أوليائه [١] .

هذه هي أساسيات المذهب الإسماعيلي التي انتشرت في اليمن، في هذه الآونة، ولكن للأسباب التي ذكرناها قبل ذلك [٢] ، يكاد المؤرخون الذين أرخوا لعلي بن الفضل يجمعون على أنه أدخل الدعوة الإسماعيلية في مرحلة تتشابه فكراً وسلوكاً مع حركة القرامطة [٣] ، فأحدث ذلك إزدواجاً في الدعوة الإسماعيلية أضعف جناح ابن حوشب الإسماعيلي، وظهرت معالم الاتجاه نحو سلوكيات القرامطة، يظهر ذلك من سيل الروايات التي تتحدث عن انحرافات علي بن الفضل، وإتباعه الدينية والأخلاقية، والتي كانت سبيلاً إلى أن يطلق أهل اليمن عليه وعلى إتباعه اسم قرامطة اليمن [٤] .

ولم يتفق العلماء والمؤرخون حتى الآن على تحديد معالم واضحة لمذهب القرامطة، غير ما يظهر عند المؤرخين من روايات حول سلوكياتهم الرديئة، وانتهاكاتهم لحرمات الدين، كانتزاعهم للحجر الأسود من موضعه في جسد الكعبة المشرفة وسرقته إلى هَجَر في سنة (٣١٧ هـ/ ٩٢٩ م)، وأعادوه إلى مكة ثانية بعد اثنتين وعشرين سنة في سنة (٣٣٩ هـ/ ٩٥٠ م). [٥] حدث هذا رغم علمهم بأن هذا الحجر أخص مقدسات الإسلام والمسلمين، فاستلام هذا الحجر، يمثل نقطة البدء والانتهاء، في الطواف حول الكعبة، وهذا الطواف ركن من أركان إحدى الفرائض الخمس في الإسلام وهي الحج، وذلك مقرر حتى في فقه العبادات

---

(١) الكرماني: الرسالة الوضية، ص ٤٩، ٥٣ .

(٢) انظر ص ٦٧ ـ ٧٠.

(٣) ينسب القرامطة إلى حمدان قرْمط، أحد كبار الدعاة الإسماعيلية بسواد الكوفة، وكان يلقب بقرمط، لأنه كان يقارب خطواته، أو لإحمرار شديد في عينيه، ومن تعاليم القرامطة التي ذكرها الطبري، أن الصلاة أربع ركعات، ركعتان قبل طلوع الشمس، وركعتان قبل غروبها، ويوم الجمعة هو يوم الأثنين، لا يعمل فيه شيء، والصوم يومان في السنة، يوم المهرجان، والنوروز، وأن النبيذ حرام، والخمر حرام، ولا غسل من جنابة إلا الوضوء كوضوء الصلاة، انظر، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ ١٠، ص ٢٣ ـ ٢٦، Hitti, Ph., History of the Arabs, (Hongkong, 1970), P. 444.

(٤) ابن الديبع: قرة العيون، جـ ١، ص ٢٠٥، الجندي: السلوك، ص ٢٤١، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ٢٠٢ .

(٥) ابن الأثير: الكامل جـ ٨، ص ٢٠٧، ٢٠٨، ٤٨٦ .Hitti, Ph., Op. cit, p. 445

الإسماعيلي [1] . ناهيك عما ذكر عن ارتكابهم الكثير من الفظائع التي تمتلىء بها كتب التاريخ.

وهناك نصوص كثيرة لدى المؤرخين عن هذه الانحرافات التي كانت من علي بن الفضل في اليمن، من المهم تتبعها وعرضها، في محاولة للوصول إلى شيء من الحقيقة، فالجندي يروي أن ابن الفضل، بعد أن أنهي حصاره لمنصور اليمن ابن حوشب «انهمك بالمذيخرة ـ عاصمة دولته ـ على تحليل محرمات الشريعة، وإباحة محظوراتها، وعمل بها داراً واسعة يجمع فيها غالب أهل مذهبه نساء ورجالاً متزينين متطيبين، ويوقد بينهم الشمع ساعة، ويتحادثون فيها بأطيب الحديث وأطربه ثم يطفأ الشمع، ويضع كل منهم يده على امرأة، فلا يترك الوقوع عليها، وإن كانت من ذوات محارمه» [2] .

ويذكر ابن الديبع أن علي بن الفضل عندما دخل صنعاء «أظهر مذهبه الخبيث ودينه المشؤوم، وارتكب محظورات الشرع، وادعى النبوة، وكان المؤذن يؤذن في مجلسه، أشهد أن علي بن الفضل رسول الله، وأباح لأصحابه شرب الخمر، ونكاح البنات، وسائر المحرمات، وأنشد أبياته المشهورة على منبر صنعاء التي يقول فيها [3] . . .

خذي الدف يا هذه واضربي	وغني هزاريك ثم أطربي
تولى نبي بني هاشم	وهذا نبي بني يعرب
لكي نبي مضى شرعة	وهاتي شريعة هذا النبي
فقد حط عنا فروض الصلاة	وحط الصيام فلم يتعب
وإذا الناس صلوا فلا تنهضي	وإن أمسكوا فكلي واشربي

(١) الكرماني: الرسالة الوضية، ص ١٨٤، وفي هذا يقول الكرماني: «واستلام الحجر (تقبيله) إن وصل (بنفسه) إليه ومسه بيده، والإشارة إليه إن لم يقدر عليه. . . والشوط من الركن الأسود (الذي فيه الحجر) دائراً بالبيت والحجر إلى الركن الأسود الذي ابتدأ منه» انظر، المصدر السابق نفس الصفحة.

(٢) الجندي: السلوك، ص ٢٤١، الجعدي: طبقات فقهاء اليمن، تحقيق: فؤاد سيد، دار العلم بيروت. ص ٧٥، ٧٦، (المُذَيْخِرة: من بلدان العُدَيْن، الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، جـ ٢، ص ٧٠٢.

(٣) ابن الديبع: قرة العيون، جـ ١، ص ١٩٥، ١٩٦.

ولا تطلبي السعي عند الصفا ولا زورة القبر في يثرب

ويؤكد الحمادي اليماني على ما ارتكبه ابن الفضل في صنعاء، فيشير إلى ذلك بقوله «فدخل القرمطي صنعاء فأقام فيها وأظهر فيها الفحشاء وأمر الناس بحلق رؤوسهم» [(١)] . كما كان ابن الفضل يعنون رسائله إلى أسعد الحوالي عامله من صنعاء بقوله: «من باسط الأرض وداحيها ومزلزل الجبال ومرسيها علي بن الفضل إلى عبده أسعد بن أبي يعفر» [(٢)] .

وعلى الرغم من محاولات بعض المحققين [(٣)] من الإشارة إلى المبالغات في الروايات التي ساقها المؤرخون اليمنيون القدامى حول سلوكيات علي بن الفضل بدعوى أن الذين كتبوا هذه الروايات هم خصوم الإسماعيلية والقرامطة من السنيين والزيدية، ورغم بعض المحاولات الملحة من جانب البعض [(٤)] للدفاع عن علي بن الفضل، وتصويره على أنه بطل قومي سعي إلى توحيد اليمن، فإننا نعثر على بعض النصوص عند دعاة الإسماعيلية أنفسهم ـ من المهم أن نحشدها هنا لأنها تؤكد صحة النصوص السابقة ـ التي تشير إلى إنحرافات ابن الفضل ـ منها ما ذكره الداعي الإسماعيلي المطلق إدريس عماد الدين القرشي في كتابه عيون الأخبار ـ في السبع الخامس ـ عن ابن الفضل [(٥)] وأنه «فارق الدعوة، وخرج من

(١) الحمادي اليماني: كشف أسرار الباطنية، ص ٣٢.

(٢) الجندي: السلوك، ص ٢٤٢.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة، هامش ٦، ابن الديبع: قرة العيون، جـ ١، هامش ص ١٩٥، ١٩٦. تعليق الأكوع.

(٤) علي محمد زيد: معتزلة اليمن، طبعة مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء، الطبعة الأولى ١٩٨١، ص ٨٦، ١١٢.

(٥) المرجع السابق، ص ١١٦، ويرى أصحاب هذا الرأي أن علياً بن الفضل خرج في ثورة كاسحة تتجاوز الزعامات الإقطاعية والقبلية، وتمكن لجماهير الفقراء تولى أمور البلاد ومقدراتها، كما أن دعوته أولت جل اهتمامها لتحرير الفلاحين من سطوة ملاك الأرض الكبار وظلمهم، واستغلالهم. المرجع السابق، ص ١١٦، ١١٧، وقد أشار جيدز (G.L.Geddes)، في دهشة إلى هؤلاء المحدثين الذين قالوا بهذا الرأي وتصوروا أن تعاليم علي بن الفضل أصبحت مثلاً يحتذي لهؤلاء الذين يحاربون الأمبريالية حالياً. على الرغم من إننا لا نعثر على نصوص واضحة في المصادر اليمنية أو في غيرها توضح أن هناك مبادىء إلتزم بها علي بن الفضل وكانت في صالح أهل اليمن في وقته، انظر، =

الملة، وباين المتوجهين إلى القبلة، وادعى النبوة، وافترى على اللّه وعلى أوليائه مقتدياً بالمضلين من قبله، فكانوا له شر أسوة، واستمال الجهال والرعاع، فكانوا له من الأنصار والأتباع، فارتكب المحارم وأتى بالعظائم، ومال إلى الإباحات، وترك الأعمال الصالحات، وكفر بعد إيمانه، وباء بلعنة اللّه بكفره وعدوانه مقتدياً بالمغيرة وأبي الخطاب» [١] .

ونمضي مع الداعي إدريس الذي ينقل نصاً قوياً عن الداعي الإسماعيلي المؤيد في الدين هبة اللّه الشيرازي ـ المتوفي سنة (٤٧٠ هـ/ ١٠٧٧ م) [٢] ، الذي يقول: إن ابن الفضل: «قدح في شيء من الشرائع والسبل، وأجاز في شيء عن مناسك شريعة محمد ﷺ صلاتها، وزكاتها، وصومها، وحجها، وجهادها» [٣] . ثم يتوجه الشيرازي بالدعاء علي بن الفضل وإتباعه بقوله: «اللهم فاجعله موقع النقمات وموضع اللعنات من أهل الأرض والسموات» [٤] بل نجد الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي (ت ٥٩٦ هـ/ ١١٧٣ م) يتحدث عن ابن الفضل بنفس المرارة فيقول: «وانقطع أمر اللعين علي بن الفضل بعد موته، وتفرق أتباعه من الغوغاء اللعناء، ولم يبق أحد على دينه فلعنة اللّه عليه» [٥] هذه النصوص وغيرها مما كتبه المؤرخون السنيون والزيدية تؤكد وتتفق حتى في نوعية الانحرافات التي كانت من علي بن الفضل.

ولذلك شهدت نهاية القرن الثالث الهجري، والسنوات الأولى من القرن الرابع الهجري أفول نجم الحركة الإسماعيلية بشقيها الإسماعيلي والقرمطي، وإنطوائها في دور جديد من أدوار الستر التي كانت تلجأ إليها كلما كانت الأمورحولها تجري في غير صالحها. ذلك أن القوى السياسية والشعبية في اليمن وجهت همتها نحو التخلص من علي بن الفضل فتمكن أسعد بن يعفر الحوالي من

= Geddes, C.L., Op. cit, P. 80.

(١) إدريس عماد الدين: عيون الأخبار، السبع الخامس ص ٤٠.

(٢) د. محمد كامل حسين: سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة، دار الكاتب المصري ١٩٤٩، ص ١١.

(٣) إدرس عماد الدين: عيون الأخبار، السبع الخامس، ص ٤١.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) المصدر السابق، ص ٤٣.

تجنيد أحد الأشراف الذي كان قد قدم من بغداد وكان طبيباً حاذقاً للطب وصناعة الدواء، فتسلل إلى المذيخرة عاصمة ابن الفضل وذاعت شهرته هناك، فاستدعاه علي بن الفضل ليفصده، ففصده بمبضع مسموم فقتله السم في الحال، وكان ذلك في سنة (٣٠٣ هـ/ ٩١٥ م) وهرب هذا الشريف ولكن أعوان ابن الفضل أدركوه وقتلوه [١] . وعلى أثر ذلك عمت الفرحة أرجاء اليمن، ابتهاجاً بتخلصهم من جور ابن الفضل وتطرفه، وأقام أهل اليمن مسجداً في وادي السحول في الموضع الذي دفن فيه الشريف البغدادي وكانوا يزورون هذا المسجد ويتبركون به [٢] .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل عمد اليعفريون يعاونهم أهل اليمن من صنعاء والجند والمعافر [٣] إلى التخلص من أعوان علي بن الفضل وبقاياه، وكانت هناك رغبة أكيدة في استئصالهم من الحياة اليمنية التي رأوا أنهم دنسوها بأفكارهم ومعتقداتهم الخبيثة، فحاصر أسعد ومن معه مدينة المذيخرة عاماً كاملاً هدم خلاله أكثر دور المدينة بالمنجنيقات، وفي النهاية سقطت المدينة وقتل أسعد فيها ابناً لعلي بن الفضل يدعى الفأفاء، وقتل خواص علي بن الفضل وأهله ومن دخل في مذهبه، وسبي بناته [٤] . وطوى اليعفريون وأهل اليمن بذلك صفحة الدولة الإسماعيلية الأولى في اليمن التي لم تجد بداً من الانتقال من جديد إلى مرحلة الستر، حيث كان ابن حوشب قد توفي هو الآخر قبل ذلك بعام واحد في سنة (٣٠٢ هـ/ ٩١٤ م) بعد أن سلم مقاليد الدعوة إلى الداعي عبد الله بن العباس الشاوري ليمضي بها [٥] في دور جديد من أدوار التقية والتستر.

---

(١) الحمادي اليماني: كشف أسرار الباطنية، ص ٣٦، ٣٧.
(٢) المصدر السابق، ص ٣٧، الجندي: السلوك، ص ٢٤٤.
(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.
(٤) الجندي: السلوك، ص ٢٤٥.
(٥) المصدر السابق، ص ٢٤٥، ٢٤٦.

الفصل الخامس

الاتجاه الشيعي الزيدي

ينسب هذا الاتجاه إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، كان والده علي بن الحسين ـ وهو الوحيد الذي بقي حياً من أبناء الحسين بعد كربلاء ـ قد خرج زاهداً في السياسة مدركاً جسامة التضحيات التي تتطلبها الثورة على الأمويين، لذلك عكف على الاهتمام بعلوم الدين ورواية الحديث، فلما مات، اختلفت الشيعة، وقال بعضهم بإمامة ابنه زيد، وعرف أتباعه بالزيدية نسبة إليه [1] .

وكانت هذه الفترة قد شهدت أسلوبين من العمل السياسي ضد الأمويين، أحدهما: فضل أسلوب المهادنة، والقبول بالأمر الواقع، لأنه رأى فداحة المواجهة مع الأمويين، وقد وطدت معركة كربلاء موقف أصحاب هذا الاتجاه، وكان تأثيرها كبيراً على عليّ بن الحسين، الذي ابتعد من أهوال فجيعتها عن السياسة، ونأى بنفسه عن متاعبها، وبنفس الطريقة سار ابنه محمد، وحفيده جعفر، فآثروا السلامة، وهادنوا الأمويين، وثانيهما: رأى ضرورة الخروج على الظلمة، ويرى أن ذلك شرط أساسي للإمامة، فالإمام لا يكون إماماً إلا بهذا الشرط، بينما رأى أصحاب الاتجاه الأول أن إمامة الإمام تصح وإن أغلق بابه عليه وداهن الظالمين، وأمنهم وأمنوه وسالمهم وسالموه [2] .

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل ص٢٨، ٢٩، علي محمد زيد: معتزلة اليمن، ص ١٧. Stooky, W., Yemen, the Politics of Yemen Arab Republic, (Westview press, Boulder, Colorado, 1978), P. 82.

(٢) علي محمد زيد: معتزلة اليمن، ص ١٨.

وضع زيد بن علي بن الحسين أساس نظرية جديدة للإمامة، وكان عليه بعد ذلك أن يبدأ مرحلة التطبيق العملي لأفكاره ونظريته الجديدة التي لاقت كثيراً من المؤيدين لها من الشيعة، وبصفة خاصة في الكوفة، وأيما كانت الأسباب التي دعت لخروج الإمام زيد علي بني أمية، والتي ذكرها كثير من المؤرخين من أمثال الطبري، وابن الأثير [1]، فإن السبب القوي والمباشر أن زيد بن علي بن الحسين كان يرى أحقيته بمنصب الخلافة، وضرورة انتزاعه من الأمويين.

وكان الإمام زيد بن علي بن الحسين قد توجه إلى الكوفة بعد أحداث مثيرة بينه وبين الخليفة هشام بن عبد الملك وواليه على العراق يوسف بن عمر الثقفي [2] وهناك في الكوفة أقام مستخفياً يتنقل في المنازل وقد أقبلت إليه الشيعة تبايعه، حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل [3]، وقيل أربعون ألفاً [4] وأرسل إلى أهل السواد والموصل رجالاً يدعون إليه [5]، وعلى الرغم من هذا التأييد الظاهر للإمام زيد من أهل الكوفة، فقد تلقى زيد تحذيرات كثيرة من بعض أقاربه

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ ٧، ص ١٦٠ ـ ١٦٦، ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ص ٢٢٩ وما بعدها (ويروي الطبري أن زيداً بن علي ومحمد بن عمر بن علي وداود بن علي بن عبد الله بن عباس قدموا على «خالد بن عبد الله وهو على العراق فأجازهم ورجعوا إلى المدينة، فلما ولي يوسف بن عمر كتب إلى هشام بأسمائهم وبما أجازهم به وكتب يذكر أن خالداً ابتاع من زيد بن علي أرضا بالمدينة بعشرة آلاف دينار، ثم رد الأرض عليه، فكتب هشام إلى عامل المدينة أن يسرحهم إليه ففعل، فسألهم هشام فأقروا بالجائزة وأنكروا ما سوى ذلك، فسأل زيد عن الأرض فأنكرها، وحلفوا لهشام فصدقهم» وفي روايات وردت عند الطبري وابن الأثير أن نقاشاً حادا كان بين زيد بن علي وهشام بن عبد الملك فقال هشام لزيد: «بلغني يا زيد أنك تذكر الخلافة وتتمناها، ولست هناك وأنت ابن أمة، فقال زيد: إن لك يا أمير المؤمنين جواباً، قال: تكلم، قال: ليس أحد أولى بالله، ولا أرفع عنده من منزلة نبي ابتعثه، وقد كان إسماعيل من خير الأنبياء، وولد خيرهم محمد ﷺ وكان إسماعيل بن أمة وأخوه ابن صريحة مثلك، فاختاره الله عليه، وأخرج عنه خير البشر، وما على أحد من ذلك جده رسول الله ﷺ وما كانت أمه أمة، فقال هشام: اخرج قال أخرج ثم لا تراني إلا حيث تكره» نفس المصدرين السابقين، ونفس الصفحات.

(٢) المصادر السابقة نفس الصفحات.

(٣) ابن الأثير: الكامل: جـ ٥، ص ٢٣٣.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ ٧، ص ١٧١.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ ٧، ص ١٧١.

وأصحابه أعلنت جميعها أنهم غير مطمئنين لما بذله أهل الكوفة من العهود والمواثيق وكان منهم ما قاله عبد الله بن حسن إلى الإمام زيد: «يا بن عم إن أهل الكوفة نُفخ العلانية خور السريرة، هُوج في الرخاء، جُزَّع في اللقاء، تقدمهم ألسنتهم ولا تشايعهم قلوبهم» [(١)] .

وقد صدق حدس هؤلاء الذين نصحوا زيد بن علي بالأمس، فما أن أعلن الإمام زيد ثورته في الكوفة سنة (١٢٢ هـ/ ٧٣٩ م) [(٢)] ، وقاتل عامل الأمويين عليها يوسف بن عمر الثقفي ـ وكان ذلك في خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥ هـ/ ٧٤٣ م ـ ١٢٥ هـ/ ٧٤٢ م) ـ حتى إنقسم أصحابه وخذله الكثيرون من أنصار ابن أخيه جعفر بن محمد ورفضوا الخروج معه، وأعلنوا رفضهم لإمامته ولذلك سماهم (الرافضة) [(٣)] . وكانت هذه حجتهم في الهرب من المجزرة، وتبعهم في قولهم من أحب البقاء، ولم يبق مع زيد إلا قليل من أصحابه قاتلوا معه ثلاثة أيام حتى قتل زيد [(٤)] . وانتقل ابنه يحيى بن زيد في نفر من الزيدية سراً إلى خراسان [(٥)] .

هكذا ظهر المذهب الزيدي، وكانت أهم قواعده هي نظرية الإمامة التي صاغها الإمام زيد بنفسه، وأضاف إليها كثيراً من المبادىء الأخرى التي جعلت

---

(١) المصدر السابق، جـ ٧، ص ١٦٩، ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ص ٢٣٥ بخلاف في اللفظ، («ومما قاله داود بن علي لزيد عن أهل الكوفة: يا بن العم، إن هؤلاء يغرونك من نفسك أليس قد خذلوا من كان أعز عليهم منك جدك علي بن أبي طالب حتى قتل، والحسن من بعده بايعوه ثم وثبوا عليه فانتزعوا رداءه من عنقه وانتهبوا فسطاطه وجرحوه، أو ليس قد أخرجوا جدك الحسين وحلفوا له بأوكد الإيمان ثم خذلوه وأسلموه، ثم لم يرضوا بذلك حتى قتلوه! فلا تفعل ولا ترجع معهم فقالوا: (أهل الكوفة) إن هذا لا يريد أن تظهر أنت، ويزعم أنه وأهل بيته أحق بهذا الأمر منكم») الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ ٧، ص ١٦٨.

(٢) المصدر السابق، ص ١٨١.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ ٧، ص ١٨١، نشوان الحميري: الحور العين، تحقيق: كمال مصطفى، المكتبة اليمنية بصنعاء، الطبعة الثانية ١٩٨٥، ص ٢٣٨.

(٤) الطبري تاريخ الرسل والملوك، جـ ٧، ص ١٨١ وما بعدها في أحداث سنة ١٢٢، ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٦، Stooky, W., Op. cit, P. 82.

(٥) المصدر السابق، جـ ٥، ص ٢٤٧، Stooky, W., Op. cit, P. 82.

لهذا المذاهب شخصيته الفريدة المتميزة بين سائر المذاهب الإسلامية وفرق الشيعة الأخرى بصفة خاصة، ومنها نفيه لفكرة عصمة الأئمة، وقوله بألا رجعة إلا يوم البعث [١] ، ولم يعتبر الخلافة وراثة خالصة بمعنى «أن الخليفة لا يكون إلا علوياً بل اعتبر الخليفة العلوي هو الخليفة الأفضل، ولا يمنع ذلك أن يتولى غيره إذا كان في ولايته مصلحة للمسلمين ما دام عادلاً يقيم الحق، ولذلك أقر إمارة أبي بكر وعمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ لأنهما قاما بالحق والعدل» [٢] .

وقد ترتب على ثورة الإمام زيد انتعاش كبير لدى الجماعات العلوية التي آمنت بضرورة الخروج والجهاد على أئمة الجور، فقامت بعد زيد عدة ثورات، منها ثورة محمد بن عبد اللَّه بن الحسن في المدينة، وثورة أخيه إبراهيم بن عبد اللَّه في البصرة زمن المنصور العباسي سنة (١٤٥ هـ/ ٧٦٢ م)، وقد كان مصيرهما القتل [٣] ، وكانت ثورة الحسين بن علي بفخ سنة (١٦٩ هـ/ ٧٨٥ م، ٧٨٦ م) أيام الهادي العباسي، وقتل هو الآخر [٤] ، وثار محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب في الكوفة في سنة (١٩٩ هـ/ ٨١٤ م، ٨١٥ م).

وكما كان لثورة الإمام زيد هذا الأثر السياسي الكبير، كان لأفكاره وآرائه إصداؤها التي ظلت تتردد في العالم الإسلامي حتى الآن، حيث نشأت طائفة الزيدية [٥] ، معتمدة على ما خلفه الإمام زيد من تراث فكري وعقائدي، فقد كان فقهياً محدثاً عالماً بقراءات القرآن الكريم، وله منزلته العظيمة بين العلماء والقراء في عصره، وله تلاميذه الذين تولوا مهمة نشر مذهبه، خاصة وأنهم فروا من الكوفة بعد مقتل أستاذهم وانتشروا في الأقاليم الإسلامية ينشرون مذهبه بعناية فائقة، وقام بعضهم بتدوين مؤلفاته في الحديث والفقه في مجموعين كبيرين، الأول المجموع

---

(١) أبو زهرة: تاريخ المذهب الإسلامية، ص ٦٦٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٦٨.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ ٧، ص ٥٥٢ ـ ٥٩١، د. أحمد محمود صبحي: الزيدية، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الثانية ١٩٨٤، ص ٩٢، ٩٣، Stooky, W., Op. cit, P. 83.

(٤) ابن الأثير: الكامل، جـ ٦، ص ٩٠ ـ ٩٣، المرجع السابق، ص ٩٣.

(٥) أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٦٧٣، ٦٧٤.

الكبير في الحديث والثاني المجموع الكبير في الفقه [1] .

وعلى الرغم من هذه الجهود، فقد شهدت ساحة الزيدية الفكرية تعديلات كبيرة في فكر الإمام زيد في بعض مسائل أصول الدين والأمامة [2] ، رأى الأخذ بها بعض المنتسبين إلى المذهب الزيدي، ولذلك نسبت هذه الأفكار إلى أصحابها، وتميزت آراؤهم بها ونسبت إليهم على نحو أدى إلى نشوء فرق منشقة عن الزيدية تدعى أن الحق في جانبها ومن هذه الفرق:

١ ـ الجارودية:

وهم أصحاب أبي الجارود زياد بن أبي زياد بن المنذر الأعمى الكوفي الهمداني المتوفي بين عامي (١٥٠ هـ/ ٧٦٧ م ـ ١٦٠ هـ/ ٧٧٦ م) [3] ، سماه الإمام الباقر (سرحوباً) وفسره بأنه شيطان يسكن البحر ووصف في المصادر بأنه ضال مبتدع، قال عنه ابن حبان: «يضع» أي يضع الأحادث على رسول اللّه ﷺ [4] وخاصة في الفضائل المثالب [5] .

وهو الذي زعم أن النبي ﷺ نص على أمامة علي بالوصف دون الاسم، ولذلك كفرت الجارودية الناس والصحابة بتركهم بيعة علي رضي اللّه عنه [6] وقد رفض أئمة آل البيت وعلماؤهم أفكار الجارودية، ومنهم الإمام محمد الباقر، والإمام جعفر بن محمد الصادق [7] . وهكذا بعدت الجارودية في فكرها تماماً عن

---

(١) المرجع السابق، ص ٦٧٤.

(٢) الأشعري: مقالات الإسلاميين، جـ ١، ص ١٣٣.

(٣) المرجع السابق، جـ ١، ص ١٣٣ وهامشها.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٣٠ وهامشها، (وقالت السرحوبية ـ التي وصفها الإمام الباقر هذا الوصف ـ أقوالاً غريبة لا يرددها إلا شيطان فقالوا: «الحل حلال آل محمد ﷺ والحرام حرامهم، والأحكام أحكامهم، وعندهم جميع ما جاء به النبي ﷺ كله كامل عند صغيرهم وكبيرهم، والصغير منهم والكبير في العلم سواء، لا يفضل الكبير الصغير، من كان منهم في الخرق والمهد إلى أكبرهم سناً»)، انظر: الشهرستاني: الملل والنخل، جـ ١، ص ١٥٧.

(٥) الأشعري: مقالات الإسلاميين، جـ ١، هامش ص ١٣٣.

(٦) المصدر السابق، نفس الصفحة، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٣٠.

(٧) الشهرستاني: الملل والنحل جـ ١، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٢.

الزيدية، ولم تعد تنسب إلى الزيدية إلا لقولها بإمامة زيد بن علي فقط [١] .

٢ ـ السليمانية أو (الجريرية):

وهم إتباع سليمان بن جرير الزيدي، الذي قال إن الإمامة شورى، وأنها تنعقد بعقد رجلين من خيار الأمة [٢] ، وإنها تصح في المفضول مع وجود الأفضل، وأثبت إمامة أبي بكر وعمر ـ رضي اللّه عنهما ـ حقاً باختيار الأمة حقاً اجتهادياً، ويقول الشهرستاني: إن سليمان ربما كان يقول: «إن الأمة أخطأت في البيعة لهما مع وجود علي ـ رضي اللّه عنه ـ خطأ لا يبلغ درجة الفسق وذلك الخطأ خطأ اجتهادي» [٣] . غير أنه طعن في عثمان ـ رضي اللّه عنه ـ وأكفره، وأكفر عائشة والزبير وطلحة ـ رضي اللّه عنهم ـ باقدامهم على قتال علي ـ رضي اللّه عنه [٤] ولذلك فأهل السنة يكفرون سليمان بن جرير من أجل أنه كفر عثمان بن عفان رضي اللّه عنه [٥] .

٣ ـ الصالحية والبترية:

الصالحية أصحاب الحسن بن صالح بن حي، والبترية: أصحاب كثير النوي الأبتر [٦] ، وهما متفقان في المذهب، وقولهم في الإمامة مثل قول السليمانية، إلا أنهم توافقوا في أمر عثمان بن عفان ـ رضي اللّه عنه ـ، وفي أمر قتلته، وينكرون رجعة الأموات إلى الدنيا [٧] ، وهم في الأصول يرون رأى المعتزلة، ويعظمون أئمة الاعتزال أكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت، وأما في الفروع فهم على مذهب أبي حنيفة، إلا في مسائل قليلة يوافقون فيها الإمام الشافعي والشيعة.

---

(١) نفس المصدرين: ونفس الصفحات.
(٢) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٣٢.
(٣) الشهرستاني: الملل والنحل، جـ ١، ص ١٥٩، ١٦٠.
(٤) المصدر السابق، ص ١٦٠.
(٥) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٣٣.
(٦) الشهرستاني: الملل والنحل، جـ ١، ص ١٦١.
(٧) المصدر السابق، ص ١٦١.

ومن المهم أن نذكر هنا أن أياً من هذه الفرق لم يكن له وجود في اليمن، ولعل السبب في ذلك أن أفكار وتفاصيل المذهب الزيدي دخلت إلى اليمن عن طريق شخصيات علوية من البيت العلوي، ترتبط بالإمام زيد بن علي بصلة قرابة مباشرة وهذه الشخصيات تلقت المذهب الزيدي من مصادره الأصلية، لا عن هؤلاء الأفراد أصحاب الفرق، ومن تبعهم - والتي ألمحنا إليهم قبل ذلك - ولذلك فغير صحيح تلك الإشارة التي ذكرها نشوان الحميري، في كتابه الحور العين، عندما قال: «وليس باليمن من فرق الزيدية غير الجارودية» [١] . لأن الزيدية في اليمن لا ينتمون لأي من الفرق السابق ذكرها، وإنما هم ينتمون إلى أئمة أهل البيت من الزيدية الذين حملوا إليه فكر الإمام زيد الخالي من تطرفات هذه الفرقة (الجارودية وغيرها) [٢] .

وقد ارتبطت اليمن منذ نهاية القرن الثاني الهجري بأئمة الزيدية مباشرة، ونالت شيئاً من اهتمامهم، أكثر من ذي قبل، فلقد حرص هؤلاء الأئمة على ربط اليمن بحركتهم السياسية والمذهبية، وقد رأينا قبل ذلك اهتمام الإمام الزيدي محمد بن إبراهيم، المعروف بابن طباطبا، وحرصه على ضم اليمن إلى الحركة الزيدية في وقته، فأرسل إليها إبراهيم بن موسى (الجزار)، الذي نجح في نشر المذهب الزيدي بين كثير من القبائل التي كانت لديها ميولاً للعلويين ومنذ ذلك الوقت أصبحت اليمن ملاذا للزيدية، ومركزاً من المراكز القوية التي دانت بالولاء للمذهب الزيدي، وأئمة الزيدية، ودليل ذلك أن اختلاف الأمور في اليمن الأعلى، دعي زيدية اليمن إلى البحث عن شخصية زيدية، لاستدعائها لتولى قيادتهم وإصلاح أحوالهم الدينية والدنيوية [٣] . ووجد أهل اليمن ضالتهم المنشودة في شخصية الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب [٤] . وكان

(١) نشوان الحميري: الحور العين، ص ٢٠٩.
(٢) انظر تعليق المحقق على عبارة نشوان الحميري في: الحور العين، ص ٢٠٩.
(٣) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ١٦٦.
(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة، د. عصام الدين عبد الرؤوف: اليمن في الإسلام، ص ١١٤.

يحيى بن الحسين يعيش في قرية الرس بالقرب من المدينة المنورة متأثراً بالنشاط العلمي الزيدي لجده القاسم الرسي، ومتأثراً أيضاً بأفكر الجد الثورية [١] . فعوّل على أن يدعو لنفسه بالإمامة حين تحين الظروف، وهو الأمر الذي لم يتمكن جده القاسم الرسي - منه لأن الدولة العباسية في عهد جده كانت قوية تضرب بيد من حديد على أيدي الثائرين في وجهها، وتبطش بكل حركة مضادة لحكمها، أما في أيام يحيى بن الحسين، فقد هرمت الدولة العباسية، وأخذت في الضعف، ووجد يحيى أنه يستطيع أن يعلن الثورة في اليمن، ويخرج بها بعيداً عن أعين العباسيين الغارقين في مشاكلهم الداخلية. وحركته الزيدية يمكن أن تجد في اليمن - البعيدة عن مركز الخلافة العباسية في بغداد - الحماية والأمن، لأن طبيعة اليمن الصعبة، وتضاريسها المعقدة، يمكن أن يكونا درعاً واقياً للثورة ضد أعدائها العباسيين، وعلى المستوى الشعبي، فإنه يجد في اليمن تأييداً كبيراً من العلويين فيها، ومن الحركات المعارضة للعباسيين بصفة عامة [٢] . وقد واتته الفرصة حين قدم عليه وفد أهل اليمن من قبيلة فطيمة من خولان صعدة، إلى مقر إقامته في الرس من

(١) (القاسم الرسي جد الإمام يحيى بن الحسين، أخذ العلم عن أبائه، وعن منصور بن محمد المرادي الذي جمع علوم آل البيت في كتابه (الوافي) في الأصول، فكان من أكبر علماء المذهب الزيدي في الأصول والفقه، أخذ العلم عن علماء المعتزلة، وخالط علماء المذهب الجعفري في الفقه، وله مصنفات كثيرة في المذهب الزيدي فاق فيها معاصريه، وبايع القاسم بن طباطبا في ثورته ضد العباسيين سنة (١٩٩ هـ)، ولما توفي، دعا القاسم إلى نفسه، وأجابه خلق كثير في مكة والمدينة والكوفة والسرى وقزوين وطبرستان والديلم، وشجعوه على الظهور، فخرج من الحجاز إلى السودان، ومنها إلى مصر، فعاش فيها فترة من الزمن مختفياً عن أعين العباسيين، وأرسل منها دعاته إلى الأقاليم، وقد ذاع أمره وانتشر صيته، ودخل في دعوته خلق كثيرون، وترقبوا ظهوره، وإعلان إمامته، ولكن الخليفة المعتصم، ضيق عليه الخناق، وأرسل عبد الله بن طاهر على رأس جيش يبحث عنه للقبض عليه، ولما علم القاسم أنه في مثل هذه الظروف لا يستطيع أن يحقق نتيجة من ثورته، عاد إلى بلاد الحجاز، وتخلى عن الدعوة لنفسه، وعن أفكاره الثورية، واشترى أرضاً وسكنها، وقضى بقية عمره في قرية الرس معتزلاً للحياة السياسية عاكفاً على التأليف والعبادة حتى توفي في سنة (٢٤٦ هـ)، انظر د. أحمد محمود صبحي: الزيدية، ص ١١٥، ١١٦، د. عصام الدين عبد الرؤوف: اليمن في ظل الإسلام، ص ١١٣، ١١٤).

(٢) د. عصام الدين عبد الرؤوف: اليمن في ظل الإسلام، ص ١١٤، Stooky, W., Op. cit, P. 85.

أرض الحجاز «فاستدعوه للخروج وملكوه أرضهم»[1]. فخرج معهم الإمام الهادي بعد أن بايعوه بالإمامة ووعدوه بالطاعة[2] . حتى إذا بلغ موضعاً يعرف بالشَّرفَة «أذعن له الناس وأطاعوه فأقام فيهم مديدة يسيرة ثم إنهم خذلوه، ورجعوا إلى ما يسخط اللَّه، ولم يجد عليهم أعواناً، وانصرف منهم حتى صار إلى بلده بالحجاز»[3] .

وفي أعقاب ذلك وقعت باليمن كثير من الفتن، والخلافات والقحط، فلما عظم على أهله من الزيدية البلاء بسببها، عاودوا الألحاح على الهادي إلى الحق يسألونه القدوم عليهم، ويعلنون له توبتهم عن مخالفتهم لأحكام الشريعة. فعاد الإمام الهادي إلى اليمن في صفر سنة (٢٨٤ هـ/ ٨٩٧ م)[4] . واستجابت له القبائل، وبايعته بعد أن نجح في حسم الخلافات فيما بينها.

ووضع الإمام الهادي على نفسه أربعة شروط حددها للناس منهجاً لطريقته في الحكم فقال لهم: «فإني اشترط لكم أربعاً على نفسي: الحكم بكتاب اللَّه وسنة نبيه ﷺ والأثرة لكم على نفسي فيما جعله اللَّه بيني وبينكم، أوثركم فلا أتفضل عليكم، وأقدمكم عند العطاء قبلي، وأتقدم أمامكم عند لقاء عدوي وعدوكم بنفسي»[5] كذلك اشترط الهادي لنفسه عليهم شرطين، أولهما: النصيحة للَّه في السر والعلن، وثانيها: الطاعة له في كل الحالات ما أطاع اللَّه فيهم، فإن خالف فلا طاعة له عليهم، وإن مال أو عدل عن كتاب اللَّه وسنة رسوله فلا حجة له عليهم[6] .

وكانت دعوته «أيها الناس أدعوكم إلى ما أمرني اللَّه أن أدعوكم إليه، إلى

(١) يحيى بن الحسين: غاية الأماني جـ ١، ص ١٦٧.
(٢) المصدر السابق، ص ١٦٦، الجرافي: المقتطف، ص ٧٠.
(٣) علي بن محمد العلوي: سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، ص ٣٦.
(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.
(٥) علي بن محمد العلوي: سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، ص ٣٦.
(٦) المصدر السابق، ص ٤٨، ٤٩، زبارة: أئمة اليمن، ص ١٠، د. أحمد محمود صبحي: الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين وموقفه من المجبرة، مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء، العدد الأول ١٩٧٧، ص ٦٦.

كتاب اللّه وسنة رسول اللّه، وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فما جاء به الكتاب اتبعناه، وما نهانا عنه اجتنبناه، وإلى أن نأمر نحن وأنتم بالمعروف ونفعله، وننهى نحن وأنتم عن المنكر جاهدين ونتركه» [١].

نجح الإمام الهادي إلى الحق في إقامة دولة زيدية باليمن شغلت حيزاً كبيراً من بلدان اليمن ونواحيه دانت بالمذهب الزيدي؛ بعضها خضع له بالقوة مثل بَرَط، وهَمْدَان وشِبَام وذمار وآل طريف [٢]. وبعضها سعي إلى دعوته والانضمام إليه مثل نجران وصنعاء [٣]. ولكن حالت عدة عوامل دون إتساع رقعة الدولة الزيدية، لتشمل أرجاء اليمن كلها وهذه العوامل كانت تشكل روح الحياة السياسية في اليمن إلى فترة طويلة من حياته، وتتضح معالمها على النحو التالي:

١ ـ العامل القبلي:

وهو أخطر هذه العوامل كلها، حيث كانت معظم القبائل اليمنية تمضي في تعاملاتها مع القوى السياسية في اليمن وفقاً لمصالحها وأهوائها القبلية، فبنو فطيمة أنفسهم الذين قاموا باستدعاء الهادي سنة (٢٨٠ هـ/ ٨٩٣ م) كان بينهم وبين الأكليليين عداء قديم منذ ثورة ابن طباطبا سنة (١٩٩ هـ/ ٨١٤ م) [٤]، ولا شك إن استقدامهم للإمام الهادي لا يخلو من رغبة في تعزيز موقفهم في مواجهة خصومهم. كذلك يشير صاحب غاية الأماني إلى أن أهل وادعة، وشاكر ويام والأحلاف استبشروا بقدوم الهادي وبايعوه [٥] «والباعث لهم على ذلك ما جرى

---

(١) علي بن محمد العلوي: سيرة الهادي، ص ٤٨.

(٢) المصدر السابق، ٨٤، ٨٥، الجرافي، المقتطف، ص ١١٦، ١١٧، بَرَط: جبل مشهور في الشمال الشرقي من صنعاء، وهو من بلاد همْدان ثم من بكيل، الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، جـ ١، ص ١٠٧، ذمار: بلدة مشهورة، جنوبي صنعاء تبعد عنها ثلاث مراحل متقاربة، المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٤١.

(٣) عبد المجيد اليماني: بهجة الزمن، ص ٤٠، ٤١، يحيى ابن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ١٦٨، نجران: بلد مشهور في الشمال الشرقي من صنعاء على مسافة ثماني مراحل، الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، جـ ٢، ص ٧٣٤.

(٤) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ١٦٧، علي محمد زيد: معتزلة اليمن، ص ٤٢.

(٥) المصدر السابق، جـ ١، ص ١٦٨، (وادعة: من بطون حاشد، ووداعة صعدة في بلاد صعدة وهي =

بينهم وبين بني الحرث ـ أهل نجران ـ من الحروب الشديدة والأهوال العديدة»[1] . كما إن بعض هذه القبائل كانت تؤيد الإمام الهادي خوفاً منه، أو رغبة فيما تحصل عليه من منافع مادية، ولذلك كان الضعف الذي يصيب حركة الإمام الهادي يظهر حقيقة ولاء هذه القبائل له، ويؤيد ذلك موقف آل طريف الذين انتهزوا فرصة ضعف جند الإمام الهادي وقلة العدد معه، فشقوا عصا الطاعة عليه وخرجوا إلى جبل ذُخَار معتصمين به[2] . ولا شك أن تصرفات القبائل على هذا النحو استنفذت جهود الهادي، وطاقة دولته المادية، فمنذ قدومه، وهو يقاوم هذه التصرفات القبلية التي كان لها تأثيرها الكبير على مشاريعه السياسية في اليمن.

٢ ـ موقف الإسماعيلية من الزيدية:

واجه الزيدية بقيادة الإمام الهادي خصومهم الإسماعيلية وبصفة خاصة علي بن الفضل الذي سلك ـ كما ذكرنا ـ مسلك القرامطة، وتبني أفكارهم، وكانت الفترة التي ظهرت فيها دولة الإمامة الزيدية بزعامة الإمام الهادي هي فترة إنفصال علي بن الفضل عن الدعوة الإسماعلية، وهذه الفترة شهدت نشاطاً عسكرياً واضحاً لعلي بن الفضل وحركته الإسماعيلية التي اتشحت بثياب القرامطة، وقد استنفذ علي بن الفضل كثيراً من جهد الإمامة الزيدية ومصادرها المادية، خاصة في صراع كلا الطرفين للاستيلاء على عاصمة اليمن صنعاء.

٣ ـ موقف القوى السنية:

وهذه القوى تعددت فكان هناك بنو زياد في تهامة، وآل يعفر الحواليين في

= المقصودة هنا، الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ج ٢، ص ٧٦١، شاكر: من قبائل همدان، ثم من بكيل وقبائل شكر هي: وايلة، ودُهمة، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٤٣٩، يام: من قبائل همدان، ثم من حاشد، وقد ذكروا في نجران إذ هي بلادهم، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧٧٤).

(١) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ١٦٨.

(٢) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ١٧٩، (ذُخار: هو الجبل المطل على شِبام كَوْكَبان، من الغرب الشمالي، وقد ذكره الهمداني في مخلاف أقْيان، الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، جـ ١، ص ٣٤٠.

صنعاء، وكان هناك في بعض الأحيان عمالاً يمثلون الخلافة العباسية في بعض الجهات كصنعاء مثل الأمير جفتم بن الحسن عامل بني العباس في اليمن [١]، وإلى جانب هؤلاء جميعاً تقف القبائل ذات الميول السنية والتي يتذبذب ولاؤها بين مختلف هذه القوى بحسب مصالحها القبلية، وقد وقفت هذه القوى جميعها ضد الزيدية، وقاومت الإمام الهادي إلى الحق، وكثيراً ما أضعفت موقفه وحملته على التراجع نحو عاصمة الزيدية في صعدة.

ورغم هذا المتاعب المتعددة التي واجهها الإمام الهادي. فقد بذل جهوداً كبيرة لإصلاح الأحوال في دولته والنصوص كثيرة في هذا المجال منها ما ذكره العلوي من أن الإمام الهادي: «كان يصلي بالناس الصلوات بالجماعة، فلا يقطع ليلاً ولا نهاراً، ويجلس ما بين الصلوات فيعظ الناس ويعلمهم فرائض الدين، وفرائض المواريث، ويتحاكمون إليه، ويبين لهم في رفق، ثم ينهض فيدور في الأسواق والسكك، ونحن معه، فإن رأى جداراً مائلاً أمر أهله بإصلاحه، أو طريقاً فاسداً أمر بتنقيته، أو خلفاً مظلماً أمر أهله أن يضيئوا فيه، بالليل للمارة والسالك إلى المسجد وغيره، وإن رأى امرأة أمرها بالحجاب، وإن كانت من القواعد أمرها بالتستر، وهو الذي أحدث البراقع للنساء باليمن وأمرهن بذلك» [٢].

كما كان يقوم بنفسه بما يقوم به المحتسبون، فكان يقف على بضائع التجار فيأمرهم بتنقيتها من الغش، والإعلان عما يبيعون، ويبدو أنه سَعَّر بعض السلع المتداولة في أسواق صنعاء حتى سأله بعض الناس: «أليس التسعير حراماً؟ فقال: أوليس الظلم والغش حراماً؟ قولوا بلى، قال: فإنما نُهي عن التسعير على أهل الوفاء، وأهل التقوى، فإذا ظهرت الظلامات في البيوع، وجب على أولياء اللّه أن ينهوا عن الفساد كله، ويردوا الحق إلى مواضعه، ويزيحوا الباطل من مكانه، ويأخذوا على يد الظالم في ظلمه» [٣].

وكثيراً ما قام الهادي ببعض مهام السلطة القضائية، فأشرف بنفسه على

---

(١) الجرافي: المقتطف، ص ١١٦.

(٢) علي بن محمد العلوي: سيرة الهادي إلى الحق، ص ٣٨٦.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

الحبس، وكان يأمر بتنظيفه وتنقيته، ويطلب ممن يقرأ من المساجين أن يعلم من لا يقرأ، ويسأل عن أسباب دخولهم إلى السجن، كما إنه كان يتفقد حوائج أهل هؤلاء المساجين فينظر فيها ويقضيها (١) .

واستطاع الهادي أن يقضي على العصبية التي تردت فيها كثير من القبائل اليمنية المتصارعة حتى دانت له الرقاب، ولم يبدأ قوماً بحرب حتى يحذرهم ويدعوهم إلى ترك المنكرات، وكان يحاسب على منع الزكاة، وكان يعطي فقراء المهزومين الربع مما جمعه من الزكاة، ويقول: إن وسَّع اللّه علينا تركنا لهم النصف، وإن أغنانا اللّه مما يحتاج إليه المجاهدون تركنا لهم الجميع وعممَّنا به جميع المستحقين (٢) . ولم يأخذ الهادي لنفسه شيئاً مما يجبي من اليمن، وإنما كان يأكل مما يأتي إليه من ماله بالحجاز، ودائماً ما كان يأمر صاحب بيت المال أن يطعم الطوافين من المساكين في الغداة والعشي، كما كان يعود المرضى ويطعم اليتامى بنفسه. ويتشدد في تطبيق أحكام الشرع في الخمر والفسق (٣) .

وأوجب الإمام الهادي على بيت المال شراء العبيد الذين يعتنقون الإسلام وهم مملوكون لأهل الذمة، لأن من مصارف الزكاة فك الرقاب، ولأنه لا ولاية لغير المسلم على المسلم (٤) .

ولم تقف عناية الإمام الهادي عند حد الاهتمام بالمجتمع الزيدي في اليمن، وإنما ركز جهوده أيضاً على الاهتمام بشؤون المذهب نفسه وتأصيله في نفوس الناس، فألف حشداً كبيراً من الكتب والرسائل في المذهب الزيدي فاقت الأربعين مؤلفاً منها (٥) .

١ ـ الأحكام في الحلال والحرام: ويحتوي هذا الكتاب على أبواب الفقه

---

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة، زبارة: أئمة اليمن، ص ١١.

(٢) د. أحمد محمود صبحي: الزيدية، ص ١٤١.

(٣) المرجع السابق، ص ١٤١، ١٤٢. Stooky. w., Op. cit, P. 89.

(٤) المرجع السابق، ص ١٤٣.

(٥) عن هذه المصادر، انظر، زبارة: أئمة اليمن، ص ٦، د. أحمد محمود صبحي: الزيدية، ص ١٤٣، ١٤٤.

الإسلامي (العبادات ـ المعاملات البيوع ـ الحدود ـ الفرائض، الذبائح ـ الأطعمة والأشربة واللباس الوصايا ـ العتق ـ القضاء والشهادات) ثم يختتم الكتاب بموضوع مهم جداً وهو موضوع الإمامة.

٢ ـ المنتخب وقد جمعه محمد بن سليمان الكوفي، وعلى كلا الكتابين الأحكام، والمنتخب اعتماد الزيدية الهادوية في الفقه.

٣ ـ كتاب الفنون في الفقه والفرائض.

٤ ـ كتاب المسائل.

٥ ـ رسائل العدل والتوحيد.

٦ ـ مسائل محمد بن سعيد.

٧ ـ كتاب القياس.

٨ ـ المسترشد (مخطوط بالجامع الكبير تحت رقم ١٧٦ مجاميع).

٩ ـ الرد على أهل الزيغ.

١٠ ـ تفسير القرآن في تسعة أجزاء.

١١ ـ معاني القرآن في تسعة أجزاء.

١٢ ـ الفوائد جزءان.

١٣ ـ مسائل الرازي.

١٤ ـ مسائل الطبريين.

١٥ ـ السنة.

١٦ ـ البالغ المدرك في الأصول.

١٧ ـ كتاب الجملة أو الديانة في التوحيد (مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء بالمجموع رقم ٥٠ تحت رقم ٥٨٧).

١٨ ـ تثبيت إمامة أمير المؤمنين على يد أبي طالب (مخطوط بالجامع الكبير بالمجموع ٢٤ تحت رقم ٥١٤).

١٩ ـ إثبات النبوة والوصية (مخطوط بالجامع الكبير تحت رقم ١٧٦ مجاميع).

٢٠ ـ الرد على الإمامية.

٢١ ـ وله تفسير في الغريب [١] .

وتجدر الإشارة هنا إلى تأثر الزيدية بالمعتزلة في بعض الآراء والمعتقدات ويشير الشهرستاني إلى أن الإمام زيد بن علي صاحب المذهب الزيدي تتلمذ على يد واصل بن عطاء رأس المعتزلة وزعيهم ـ على الرغم من رأي واصل في الإمام علي بن أبي طالب وأنه ما كان على يقين من الصواب في حربه لأصحاب الجمل [٢] ـ ويرى البعض إن الإمام زيد لم يتتلمذ على واصل وإنما التقى به وكان لقاؤهما بالبصرة وغيرها، وأنهما تذاكرا مسائل الاعتقاد، وما أثير حول الجبر والاختيار وحول مرتكب الكبيرة في ذلك الأبّان وقد أُثرت عن الإمام زيد آراء في أصول الدين تتقارب مع آراء المعتزلة أو تتفق معها في كثير منها [٣] .

وكما تأثر الإمام زيد بن علي بفكر الاعتزال، وترك هذا الفكر بصمات واضحة على المذهب الزيدي، فإن الإمام الهادي إلى الحق، تأثر هو الآخر بفكر المعتزلة، ونادى ببعض آرائهم. وهناك إشارة في طبقات الزيدية تحدد العلاقة بين الإمام الهادي والمعتزلة، فقد كان شيخ الهادي في الأصول الشيخ أبا القاسم، البلخي المعتزلي، فعليه أخذ الأصول، وعلم الكلام، فلذلك ترى أقواله متابعة لابي القاسم في الغالب، أما الفروع فاستقل فيها الهادي باجتهاده مخالفاً زيد بن علي في مذهبه، ولم يتقيد لأقواله التي تضمنها مجموع الفقه الكبير لزيد بن علي، وجامع الكافي لأقوال زيد بن علي، وأقوال أهل البيت السابقين [٤] .

---

(١) زبارة: أئمة اليمن، ص ٦.

(٢) الشهرستاني، الملل والنحل، جـ ١، ص ١٥٥.

(٣) أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ٦٧١.

(٤) يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية الصغرى، مخطوط، نسخة خاصة بالباحث مصورة عن الأصل الموجود بالمكتبة المركزية بجامعة صنعاء كان للأستاذ الدكتور عبد الرحمن شجاع الفضل في حصولي عليها، ورقة ٦.

والنص السابق يشير إلى أمرين مهمين: الأول أن الهادي تأثر في الأصول بأبي القاسم البلخي المعتزلي، والثاني أنه في الفروع مستقل باجتهاده الخاص، والحقيقة إن الإمام الهادي أعطى المذهب الزيدي في عصره، ولفترة طويلة من بعده شخصيته الخاصة المستقلة المتميزة، صحيح إنه تأثر بالاعتزال، ولكنه عزز هذا التأثر بوجهة نظره التي أعطت المذهب ـ كما قلنا ـ شخصيته المستقلة، فعند نقطة الالتقاء بين المعتزلة والزيدية، غالباً ما تبدأ الفكرة معتزلية، ولكنها تنتهي زيدية، ومن ذلك إن المعتزلة قالوا: بأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين ـ الإيمان أو الكفر ـ وإنه مخلد في النار ما لم يتب، فقالت الزيدية: إن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين ولكنه ليس مخلداً في النار بل يعاقبه اللّه ـ تعالى ـ بمقدار ما أذنب [1] .

كذلك كانت أصول الدين عند الإمام الهادي في أول الأمر هي نفس الأصول التي قررها المعتزلة وهي: التوحيد والعدل ـ والوعد والوعيد ـ والمنزلة بين المنزلتين ـ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [2] ، وعنها يقول الهادي «فمن أقام على هذه الأصول كما أقمنا، ودان بها كما دِنّا وعمل بما استحق اللّه عليه فيها فهو منا وأخونا وولينا، ندعوه إلى ما أجابنا، ونجيبه إلى ما دعا، ومن خالفنا وفارقنا عليها حاججناه بالمحكم من كتاب اللّه ورددناه إلى المجمع عليه من سنة رسول اللّه» [3] .

وفي مرحلة تالية تطرأ على هذه الأصول تعديلات زيدية هامة، فتصبح هذه الأصول: التوحيد ـ والعدل ـ والوعد والوعيد ـ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ وإثبات الإمامة. وهنا في هذه المرحلة جعل الهادي الإمامة أصلاً ثابتاً من أصول الدين، ويبدو أن أصول الدين في المرحلة الأولى كانت قبل سنة (٢٨٤ هـ/ ٨٩٧ م)، التي جاء فيها الهادي إلى اليمن لتأسيس الإمامة الزيدية، وأن الأصول في المرحلة الثانية كانت بعد هذا التاريخ، وفي المرحلة اليمنية، حيث أصبح في هذه المرحلة قائداً سياسياً ومسؤولاً عن تجنيد المزيد من المقاتلين

---

(١) أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٦٧١.

(٢) علي محمد زيد: معتزلة اليمن، ص ١٥٧.

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

والإتباع، لمواجهة الأخطار التي تواجه الإمامة الناشئة [١].

كان هذا في الجانب الأصولي، أما في الجانب الفقهي، فقد كان للهادي ـ كما ذكرنا ـ في الفروع اجتهاده الفقهي المستقل الذي اختلف فيه مع الإمام زيد بن علي في كثير من الأحيان، ولم يتقيد بالأقوال التي تضمنتها مؤلفات الإمام زيد بن علي واجتهاداته، وظل الاجتهاد الفقهي في الفروع سمة يمتاز بها المذهب الزيدي، ولذلك مضى هذا المذهب متزامناً مع مذاهب أهل السنة [٢]، وظل الاجتهاد سمة غالبة عليه.

وفي يوم الأحد لعشر باقية في ذي الحجة آخر سنة (٢٩٨ هـ/ ٩١١ م) [٣] توفي الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، بعد أن ترك لأهل اليمن تراثاً فكرياً كبيراً أتاح للإمامة الزيدية الصمود في اليمن أكثر من ألف عام تحكم بعض اليمن أحياناً أو كله في كثير من الأحيان.

ولم يبق على انتهاء هذا القرن ـ الذي تنتهي عنده هذه الدراسة ـ سوى فترة صغيرة، تولى إمامة الزيدية فيها ولده محمد المرتضى، الذي بايعه الزيدية في صعدة في يوم الخميس عند مستهل المحرم سنة (٢٩٩ هـ/ ٩١١ م) [٤]. وكان الإمام محمد المرتضى عابداً زاهداً مؤثراً للعلم والعمل، لم يستطع أن يواجه الأحداث التي كانت في انتظاره، وبصفة خاصة صراع الزيدية مع علي بن الفضل «فجمع أعيان الجند، ووجوه أصحابهم، وخطب فيهم خطبة بليغة، عاب عليهم أشياء أنكرها من سيرتهم، وعزم على التنحي عن الإمامة، والتخلي لعبادة الله، ورفع عماله من نجران وخولان وهمدان ولزم منزله» [٥].

مضت ثلاث سنوات بعد تنازل المرتضى عن منصب الإمامة، كانت البلاد فيها من غير إمام، حتى قدم إلى صعدة الناصر أحمد بن الهادي من الحجاز،

---

(١) المصدر السابق، ص ١٥٨.
(٢) يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية الصغرى، مخطوط، ورقة ٦.
(٣) علي بن محمد العلوي: سيرة الهادي إلى الحق، ص ٣٩٧.
(٤) الكبسي: اللطائف السنية، ص ١٥.
(٥) المصدر السابق، نفس الصفحة.

وبايعه الناس بالإمامة [1] ، لتبدأ مرحلة جديدة من حياتها خلال القرن الرابع الهجري.

ولا بد من الإشارة هنا إلى الجهود العلمية التي بذلها أئمة الزيدية في مناهضة المذهب الإسماعيلي الذي كان يزاحمهم في مناطق نفوذهم في شمال اليمن، وفي صنعاء بصفة خاصة، فكما تصاول الزيدية والإسماعيلية بالسيف والرجال، تصاولوا أيضاً بالقلم والمداد، فتعددت مؤلفات الأئمة الزيدية لمناهضة الفكر الإسماعيلي، وكثيراً ما نجح الزيدية في ذلك، فقد سلحوا فكرهم بأسلحة علم الكلام الذي استغلوه في هذا المجال أبرع استغلال، وكانت هذه المؤلفات والردود التي أعدها الأئمة الزيدية للرد على الإسماعيلية وسيلة احتفظ بها الزيدية بإتباعهم، فلم تغررهم دعوات ابن حوشب أو علي بن الفضل وواضح من أسماء هذه المؤلفات، إنها كانت موجهة مباشرة إلى الإسماعيلية والقرامطة منهم بصفة خاصة، فألف الإمام الهادي كتباً منها: [2]

١ ـ الرد على الإمامية.

٢ ـ بوار القرامطة.

كما ألف الإمام محمد المرتضى بعده كتابين، أحدهما: جواب ابن الفضل القرمطي، والآخر الرد على القرامطة اتباع علي بن الفضل [3] . ودراسة هذه الكتب المغمورة حتى الآن، يعطى مجالاً أرحب لدراسة الحياة الفكرية، مما قد يكشف بعض الغموض عن الأفكار التي تبناها علي بن الفضل والإسماعيلية في ذلك الوقت.

---

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) أبو علامة: التحفة العنبرية في المجددين من أبناء خير البرية (مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء برقم (٥٧ تاريخ)، ورقة ٥٣ أ، د. أحمد محمود صبحي: الزيدية، ص ١٤٤.

(٣) زبارة: أئمة اليمن، ص ٥٢.

الفصل السادس

الاتجاه السني

إلى جانب الاتجاهات السابقة كان هناك الاتجاه السني الذي كان يمثله عمال بني أمية والعباسيون، وهو إتجاه جمهور جماعة المسلمين في اليمن، وتمركز هذا الاتجاه بصفة أساسية في تهامة اليمن، وفي كثير من جهات اليمن الأخرى، التي لا ينتشر فيها المذهب الزيدي أو المذهب الإسماعيلي، ومنذ النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، والدولة العباسية تركز جهودها على مقاومة الاتجاهين السابقين، وكانت قد أقامت قبل ذلك ومع مطلع القرن الثالث الهجري دولة بني زياد في تهامة، لمقاومة تيار المد الشيعي الذي لم تكن بعد قد تبلورت شخصيته في صورة إتجاه إسماعيلي أو إتجاه زيدي. وإنما حدث ذلك في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري.

عهدت الدولة العباسية بحكم أجزاء كبيرة من اليمن إلى محمد بن زياد، وأبنائه من بعده، فأسس مدينة زبيد سنة (٢٠٤ هـ/ ٨١٩ م) [١] . ومنها حكم تهامة والمناطق التي امتد إليها نفوذه، وظلت هذه الدولة قائمة إلى ما بعد القرن الثالث الهجري. كذلك أقام العباسيون دولة آل يعفر الحواليين في صنعاء سنة (٢٥٧ هـ/ ٨٧٠ م) [٢] واعترفوا بهم، ومنحوهم كافة السلطات لحكم المناطق الداخلية في اليمن وتمثيلهم فيها، وتولت كلا القوتين مقاومة كل العناصر الثائرة

(١) عمارة: تاريخ اليمن، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، الطبعة الثالثة ١٩٧٩، ص ٤٥.
(٢) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ٣٣.

على العباسيين ممثلة في الشيعة الإسماعيلية والشيعة الزيدية.

وقد عمد أصحاب الاتجاهين السابقين إلى نعت جمهور أهل السنة بأوصاف منها ما أطلقوه عليهم من تسميتهم (بالمجبرة) وقالوا: إن أهل اليمن - منذ زمن الأمويين - تمذهبوا بمذهب الجبرية الذي ينادي بأن أفعال العباد بقضاء الله وقدره وإرادته وخلقه [1]. وقد ذكر الشَّرفي، وهو أحد مؤرخي الزيدية المهمين، إن الأمويين فرضوا هذه الفكرة على أهل اليمن بقوتهم ونفوذهم، وكانوا يقولون بأن وصولهم إلى الحكم إنما كان بقضاء من الله وقدره، ولا حيلة للناس في دفع ذلك، وادعى معاوية إنه احتكم هو وعلي إلى الله فنصره الله على عليّ، كذلك ادعى خلفاء معاوية أن من قتلوهم من الأئمة والمعارضين إنما قتلهم الله [2].

وقد استفاد الأمويون من إذاعة هذه الأفكار على المستوى الشعبي، بينما كانت تلاقي كثيراً من المعارضة من علماء السنة [3]. وقد سعي العباسيون إلى الاستفادة من نفس الفكرة في اليمن أيضاً بعد سقوط الدولة الأموية، فأيد خلفاء بني العباس الأوائل فكرة الجبر، كما أيدها كثير من زعماء دعوتهم، ومن هؤلاء وأولئك أبو العباس السفاح، ودواد بن علي، وظهر ذلك بوضوح في خطبهم، حيث اعتبر بعضهم إن الخلافة قد سارت إليهم بقضاء الله وقدره، وأن الله تعالى أولاها لهم وابتلاهم بها، وزعموا إنهم مفروضون على الأمة، ومطهرون من الرجس، وإنهم باقون في الحكم إلى يوم القيامة [4].

وإذ كان الاتجاه السني قد مضى هكذا في اليمن متأثراً عند العامة بفكرة

---

(١) أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ١٠٤، ١٠٥.

(٢) الشرفي: قطعة منتزعة من كتاب شفاء صدور الناس عن تطور المذهب الزيدي في اليمن، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، المجلد السابع ربيع ١٩٨٧، ص ٥٢.

(٣) أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ١٠٦، ١٠٧.

(٤) ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ص ٤١٥، الدينوري: الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر ١٩٦٠، ٣٧٠ ـ ٣٣٧، د. فاروق عمر: طبيعة الدعوة العباسية: دار الإرشاد بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٠، ص ١١٨، مجهول: أخبار الدولة العباسية، تحقيق د. عبد العزيز الدوري، د. عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة بيروت، دار الطليعة بيروت ١٩٧١ ص ٢٤٥، ٢٧٥.

الجبر، فعلى المستوى العلمي تتابعت طبقات العماء اليمنيين السنيين تدعم ببحوثها ودراساتها أوتاد المذهب السني، وتواجه به مختلف الاتجاهات المذهبية الأخرى في اليمن، وفي جهات العالم الإسلامي المختلفة، وغدا للعلماء اليمنيين في هذا المجال شخصيتهم العلمية الخاصة بهم، والتي تميزهم عن أقرانهم في أنحاء العالم الإسلامي.

ومن هؤلاء العلماء أبو عبد الرحمٰن طاووس بن أبي حنيفة (ت/١٠٦ هـ/٧٢٤م)، الذي كان فقيهاً زاهداً ورعاً محدثاً عابداً ناسكاً، أدرك خمسين من صحابة رسول اللَّه ﷺ منهم علي وابن عباس وابن عمر ومعاذ بن جبل، وقد تولى طاووس قضاء مخلافي الجند وصنعاء، وله مسجد في صنعاء يعرف باسمه، وكان ولاة اليمن يعولون في أمورهم الدينية على قوله، وله مسانيد ومراسيل خاصة به [١].

ومنهم أيضاً وهب بن مُنبِّه، وهو أحد كبار علماء اليمن في وقته، كان فقيهاً فصيحاً، مصقعاً بليغاً في الخطابة والفصاحة لا يبارى ولا يجاري، لقي عشرة من أصحاب رسول اللَّه ﷺ كابن عمر وابن عباس وأبو هريرة، وأخذ عن طاووس ومحمد بن الحنفية [٢]، ويقول وهب بن منبه عن نفسه «قرأت من كتب اللَّه اثنين وسبعين كتاباً» [٣]. وكان القراء من أهل صنعاء يقرأون عليه، فإذا انصرفوا عن الجامع عصر الجمعة، ذهبوا إلى بيته ليعقد لهم مجلساً بداره في ذلك الوقت، ويقال عنه أيضاً إنه أقام أربعين سنة أو عشرين يصلي الصبح بوضوء العشاء [٤] وكان وهب إلى جانب تفرده في الفقه والحديث، من الرعيل الأول بين كتاب المغازي، وكانت له دراية بالكتابات والنقوش القديمة [٥]، فقد عثر الخليفة الوليد بن عبد الملك على حجر قديم عليه نقوش غير عربية في أثناء بناء الجامع الأموي بدمشق في سنة (٨٧ هـ/ ٧٠٥ م) وقام بعرض الحجر على جماعة من أهل

---

(١) الجندي: السلوك، ص ١٠٣ ـ ١٠٥.

(٢) المصدر السابق: ص ١٠٩، ١١٠.

(٣) ابن سمرة الجعدي: طبقت فقهاء اليمن، ص ٥٧.

(٤) الجندي: السلوك، ص ١١٢.

(٥) د. سيد إسماعيل الكاشف: مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، الانجلو المصرية، ١٩٦٠، ص ٢٧، ٢٨، Hitti, Ph., Op. cit, P. 244.

الكتاب فلم يستطيعوا قراءته، فبعث بالحجر إلى وهب بن مُنَبه ليقرأه، وينسب إلى وهب (كتاب المتبدأ) وواضح من عنوانه أنه يتحدث عن مبتدأ الخلق، وقصص الأنبياء، كما ينسب إلى وهب بن مُنَبه أيضاً كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وغير ذلك) [1] وولى وهب منصب القضاء لعمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ونقش على خاتمه (اصمت تسلم وأحسن تغنم) وكانت وفاته في سنة (١١٠ هـ/ ٧٢٧ م) أو في سنة (١١٤ هـ/ ٧٣٢ م) [2] .

ومن جلة علماء اليمن أبو محمد عطاء بن أبي رباح، ولد بالجند سنة (٢٧ هـ/ ٦٤٧ م) ونشأ بمكة وتفقه بها على جماعة من الصحابة أشهرهم ابن عباس، وكان عطاء من أعلم الناس بالمناسك، انتهت إليه الفتيا بمكة المكرمة بعد ابن عباس، وكان بنو أمية يأمرون في الحجيج ألا يفتي الناس إلا عطاء ابن أبي رباح، وكانت وفاته عن ثمانية وثمانين سنة في سنة (١١٤ هـ/ ٧٣٢ م) أو في سنة (١١٥ هـ/ ٧٣٣ م) [3] .

ومنهم حُجر بن قِيس المَدَرى من مَدَرات ـ وهي بادية من بوادي الجَنَد ـ وقد رفض هذا العالم الجليل أن يَلعن علياً كما جرى على ذلك عمال بني أمية في اليمن، فقد أقامه محمد بن يوسف الثقفي إلى جانب منبر جامع صنعاء، وطلب إليه أن يلعن علياً فقال حُجر بن قيس: إن الأمير محمد بن يوسف أمرني أن ألعن علياً فالعنوه لعنه الله، قال: (حُجر) فلقد تفرق أهل المسجد وما فهمها إلا رجل واحد [4] .

والحقيقة أن موقف علماء السنة من هذه القضية كان واضحاً في اليمن، فلم

---

(١) المصدر السابق، نفس الصفحات.

(٢) الجندي: السلوك، ص ١١٤، ابن سمرة الجعدي: طبقات فقهاء اليمن، ص ٥٧.

(٣) الجندي: السلوك ص ١١٧، ١١٨، ١١٢، (وعن دراسته بالمناسك يروي الجندي إن سليمان بن عبد الملك حج ومعه ابنان له «فلما قدما مكة أتوه في بعض الأيام فوجوده قائماً يصلي فقعدوا في انتظاره حتى فرغ من صلاته ثم جعلوا يسألونه عن المناسك وهو يجيبهم غير مختلف ولا هائب، فلما فرغ من سؤالهم حول وجهه عنهم فقام سليمان وأمر ابنيه بالقيام فلما ولو عنه قال لأبنيه، يا ابني لا تنيا في طلب العلم فإني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود» المصدر السابق، ص ١١٧).

(٤) ابن سمرة الجعدي: طبقات فقهاء اليمن، ص ٦٠، ٦١.

يجرؤ أحد على سب السلف في المناطق التي انتشر فيها المذهب السني كصنعاء والجند وزبيد وعدن «والمبتدع كان يضيع بينهم ولا يطيق إظهار بدعته» [1] لتمكن المذهب السني في نفوس الأهالي في هذه النواحي بفضل جهود العلماء فيها.

وكان لهؤلاء العلماء ولجهودهم أكبر الأثر خلال مرحلة تدوين الحديث في النصف الأول من القرن الثاني الهجري [2] حيث كان لهم الفضل في ظهور طبقة جديدة من العلماء أصبحت قبلة الأنظار، وهدف الرحالة من العلماء طالبي الحديث النبوي الشريف، ولا شك أن الحياة العلمية التي ذخرت بها اليمن في ظل هؤلاء العلماء وتابعيهم جعلت من اليمن بيئة مزدهرة للمذاهب السنية في المراحل المقبلة.

وخلال القرن الثاني الهجري، انتعش الفقه والحديث، حتى أصبح لا غنى لعلماء المسلمين في البيئات العلمية الأخرى من العالم الإسلامي عن التلقي عن علماء اليمن، فجاء إلى اليمن الإمام محمد بن إدريس الشافعي ليتلقى الحديث عن أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم الدَبَري - نسبة إلى قرية دَبَرة - بالقرب من صنعاء - وإياه أراد الشافعي بقوله:

لا بـد مـن صنعـا وإن طـال السفـر لطيبهـا والشيـخ فيهـا مـن دَبَـر

وأخذ الشافعي في رحلته هذه إلى اليمن أيضاً عن أبي حنيفة ابن الفقيه بن سماك بن الفضل الشهابي، وعن محمد بن خالد وآخرين [3]. وجاء إلى اليمن أيضاً من أصحاب المذاهب الأربعة الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، فأخذ عن عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري في صنعاء وعن عبد الملك الذماري في ذمار، وكان قبل ذلك قد ذهب إلى عدن ليأخذ فيها عن إبراهيم بن أبان [4].

ولعل هذا الحشد الكبير من العلماء المشتغلين بالفقه والحديث في مدينة صنعاء وحدها يعكس رسوخ أقدام المذاهب السنية في بلاد اليمن، فقد ذكر

---

(1) الجندي: السلوك ص ١٢٥.
(2) أحمد حسين شرف الدين: تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن، ص ٣٠.
(3) الجندي: السلوك، جـ١، ص ١٥٢، ١٦٣، زبارة: أئمة اليمن، ص ١٦.
(4) الجندي: السلوك، جـ١، ص ١٤٧، ١٤٨.

ابن سمرة الجعدي في طبقاته من نقل عنه الفقه والحديث من أهل صنعاء في هذه الفترة فذكر «محمد بن يوسف الحذَامي، روى عنه أبو سعيد الجندي، عن محمد بن عمران البصري، عن محمد بن الحسن فقه أبي حنيفة رحمه اللّٰه، وأبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الدَبَري، وعبيد بن محمد الكشوري، وأبو جعفر بن الأعجم، والحسن بن عبد الأعلى البَوْسي، والحسن بن أحمد البوسي، وكان أبو مسلم الكشي يتردد بين صنعاء ومكة وزبيد، وسمع عليه شيوخ كثير، وقد دخل (حديثه) فيكتاب الشريعة للآجُرَى البغدادي، وإبراهيم بن محمد بن إسحق ابن برة، وأبو القاسم، جعفر بن محمد الأعجم» [١] .

وشهد القرنان الثاني والثالث من الهجرة، انتشار فقه الأئمة الأربعة أبي حنيفة النعمان، ومالك وابن حنبل وأخيراً فقه الإمام الشافعي، الذي أصبحت له أقدام ثابتة، وفي تهامة اليمن بصفة خاصة، ومنذ نهاية القرن الثاني الهجري وحتى الآن أصبح يطلق على أهل تهامة الشوافع لتمسكهم بمذهب الإمام الشافعي، وكانت المناطق الداخلية المعروفة بمخاليف صنعاء، موطناً لانتشار مذهب أبي حنيفة النعمان، ومذهب الإمام مالك [٢] . ودعم هذه المذاهب الفقهية طبقة من العلماء الأفذاذ منهم أبو قرة موسى بن طارق اللحجي، وأبو سعيد المفضل الأكمل بن محمد، والقاضي الحافظ محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني قاضي عدن، ومحمد بن كثير الصنعاني، ومحمد بن عبد اللّٰه الصنعاني، ومحمد ابن عبد الأعلى الصنعاني [٣] .

بهذا الرصيد الهائل من علوم السنة وعلمائها وفقهائها واجه غالبية أهل اليمن ـ الذين تشبعوا بالفكر السني ـ تجمعات الزيدية التي نشطت في صعدة، وتقدمت نحو صنعاء، وحمل اليعفريون السنيون عبء مقاومتهم، وتمكنوا من حصر نفوذهم ـ عند نهاية القرن الثالث الهجري ـ في صعدة وما حولها. كما تمكن اليعفريون أيضاً من الصمود لعلي بن الفضل والتغلب عليه والقضاء على حركته،

(١) ابن سمرة الجعدي: طبقاء فقهاء اليمن، ص ٦٤، ٦٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٩.

(٣) ابن سمرة الجعدي: طبقات فقهاء اليمن، ص ٧٩.

وعلى الحركة الإسماعيلية وأجبروا من تبقى من أتباع هذه الحركة على لزوم التقية والخفاء.

وعلى صعيد آخر تمكن الزياديون من إيقاف الزحف الزيدي نحو تهامة، كما تمكنوا من سحق علي بن الفضل وإجباره على التخلي عن مشاريعه التوسعية للاستيلاء على تهامة، ولم تطل مدة استيلائه على زبيد عاصمة بني زياد الذين سرعان ما استعادوا نفوذهم على تهامة.

ونخلص من هذا إلى إن الاتجاه السني واكب الاتجاهات المذهبية المختلفة التي وفدت على اليمن خلال القرون الثلاثة الأولى من الهجرة، واستطاع الاتجاه السني بفضل جهود علمائه أن يخلق حالة من الوعي الداخلي لدى أهل اليمن هذا الوعي الذي أعطاهم الوسائل التي يستطيعون أن يواجهوا بها المذاهب الوافدة إلى بلادهم، فتمكنوا بهذا الوعي من مقاومة الاتجاه الأباضي والاتجاه الشيعي بأجنحته المختلفة الإسماعيلية والقرمطية والزيدية، ولا شك أن ضخامة التراث السني هيأ الظروف كثيراً وعن طريق إتصال الزيدية بهذا الفكر السني، ومدارسته في بيئاتهم العلمية، أصبح المذهب الزيدي قريباً من مذهب أهل السنة مما ضمن له البقاء جنباً إلى جنب مع مذهب أهل السنة حتى الآن.

تم بحمد الله. . .

المصادر والمراجع

١ ـ إبراهيم العدوي: (دكتور)

بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي مكتبة الأنجلو المصرية ـ ١٩٧٠.

٢ ـ ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني (ت: ٣٦٠هـ)

الكامل في التاريخ ـ طبعة دار صادر بيروت ١٩٧٩.

٣ ـ أحمد حسين شرف الدين:

تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن ـ مطبعة الكيلاني ـ طبعة ١٩٦٨.

٤ ـ أحمد شلبي: (دكتور)

موسوعة التاريخ الإسلامي (الجزء الثالث) ـ مكتبة النهضة المصرية ـ الطبعة الرابعة ١٩٧٠.

٥ ـ ــــــــ: السياسة في الفكر الإسلامي (موسوعة النظم والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية ـ الطبعة الخامسة.

٦ ـ أحمد محمود صبحي: (دكتور)

الزيدية ـ الزهراء للاعلام العربي الطبعة الثالثة ـ ١٩٨٤.

٧ ـ أحمد محمود صبحي: (دكتور)

الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين وموقفه من المجبرة ـ مجلة كلية الآداب جامعة صنعاء ـ العدد الأول ـ ١٩٧٧.

٨ ـ إدريس عماد الدين: القرشي

عيون الأخبار وفنون الآثار.

تحقيق: د. مصطفى غالب (السبع الرابع) ـ دار الأندلس بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٦.

٩ ـ ــــــــ: السبع الخامس الطبعة الأولى ـ ١٩٧٥.

١٠ ـ الأكوع: محمد بن علي الأكوع
الـوثـائـق السيـاسيـة اليمنيـة مـن قبيـل الإسـلام إلـى سنـة ٣٣٢ هـ ـ الطبعـة الأولـى ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م ـ دار الحرية بغداد.

١١ ـ الأنسي الصنعاني: عبد الملك بن حسين
إتحاف ذوي الفطن بمختصر أنباءالزمن منشورات جامعة صنعاء ـ ١٩٨١.

١٢ ـ البغدادي: صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت: ٧٣٩ هـ)
مـراصـد الاطـلاع علـى أسمـاء الأمكنـة والبقـاع ـ طبعـة دار إحيـاء الكتـب العربية ـ ١٩٥٤.

١٣ ـ البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر
فتوح البلدان
تحقيق: د. صلاح الدين المنجد ـ مكتبة النهضة المصرية.

١٤ ـ الجرافي: عبد الله عبد الكريم
المقتطف في تاريخ اليمن ـ الطبعة الثانية ـ بيروت ١٩٨٤.

١٥ ـ الجعدي: عمر بن علي سمرة الجعدي ـ طبقات فقهاء اليمن ـ تحقيق: فؤاد سيد ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٨١.

١٦ ـ الجندي: بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب السكسكي.
السلوك في طبقات العلماء والملوك
تحقيـق: محمـد بـن علـي الأكـوع (الجـزء الأول) ـ طبعـة وزارة الاعـلام والثقـافـة اليمنية ١٩٨٣.

١٧ ـ الحجري: محمد بن أحمد الحجري اليماني
مجموع بلدان اليمن وقبائلها
تحقيق: إسماعيل بن علي الأكوع. طبعة وزارة الاعلام والثقافة اليمنية. الطبعة الأول في مجلدين ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤.

١٨ ـ الحمادي اليمني: محمد بن مالك بن أبي الفضائل.
كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة. نشر: عزت العطار ـ مطبعة الأنوار ١٣٥٧ هـ ـ ١٩٣٩ م.

١٩ ـ الخزرجي: أبو الحسن علي بن الحسن الخزرجي (ت: ٨١٢ هـ)
العسجد المسبوك فيمن ولى اليمن من الملوك ـ نسخة مصورة عن المخطوط الأصلي

للمرة الثانية ـ طبعة وزارة الاعلام والثقافة اليمنية (١٠٤١ هـ ـ ١٩٨١ م) دار الفكر دمشق.

٢٠ ـ الخضري: محمد
محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ـ المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة.

٢١ ـ ابن خلدون: عبد الرحمٰن (ت: ٨٠٨ هـ) العبر وديوان المتبدأ والخبر.
ـ المقدمة طبعة دار القلم بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٧.
ـ المجلد الرابع طبعة دار الكتاب اللبناني ١٩٦٨.

٢٢ ـ ابن الديبع: أبو الضياء عبد الرحمٰن بن علي الديبع الشيباني الزبيدي (ت: ٩٤٣ هـ)
قرة العيون بأخبار اليمن الميمون
تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي المكتبة السلفية القاهرة ـ ١٩٧١.

٢٣ ـ الدينوري: أبو حنيفة
الأخبار الطوال
تحقيق: عبد المنعم عامر ـ الطبعة الأولى ١٩٦٠ ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر.

٢٤ ـ زبارة: محمد بن محمد زبارة الحسني الصنعاني
أئمة اليمن ـ مطبعة النصر الناصرية بتعز ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٢ م.

٢٥ ـ أبو زهرة: الإمام محمد
تاريخ المذاهب الإسلامية ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة.

٢٦ ـ السيابي: سالم بن حمود بن شامس السيابي السمائلي أصدق المناهج في تمييز الأباضية من الخوارج
تحقيق: الأستاذة الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف
وزارة التراث القومي والثقافة عمان ١٩٧٩.

٢٧ ـ سيدة إسماعيل كاشف: (دكتورة)
مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه الأنجلو المصرية ـ ١٩٦٠.

٢٨ ـ السيد عبد العزيز سالم: (دكتور)
المغرب الكبير
الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٦.

٢٩ ـ الشرفي: محمد بن صلاح

قطعة منتزعة من كتاب شفاء صدور الناس عن تطور المذهب الزيدي في اليمن.
تحقيق: الدكتور محمد عيسى الحريري المجلة العربية للعلوم الإنسانية العدد ٢٦
المجلد السابع ـ ١٩٨٧.

٣٠ ـ الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل
مقالات الإسلاميين
تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ـ الطبعة الثانية ١٩٨٥.

٣١ ـ الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني
(٤٧٩ هـ ـ ٥٤٨ هـ) الملل والنحل ـ تحقيق: محمد سيد كيلاني ـ دار المعرفة
بيروت (١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م).

٣٢ ـ الأصفهاني: أبو الفرج
كتاب الأغاني ـ تحقيق علي السباعي ـ الهيئة العامة للكتاب ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م
الجزء الثالث والعشرون.

٣٣ ـ الطبري: محمد بن جرير
تاريخ الرسل والملوك ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ طبعة دار المعارف
١٩٦٥.

٣٤ ـ عبد الله خورشيد البري: (دكتور)
القبائل العربية في مصر
دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٧.

٣٥ ـ ابن عذاري: المراكشي
البيان المغرب ـ طبة دار الثقافة بيروت.

٣٦ ـ العرشي: حسين بن أحمد
بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من ولى ملك اليمن من ملك وإمام ـ نشر الأب
انستاس الكرملي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٣٧ ـ عصام الدين عبد الرؤوف: (دكتور)
اليمن في ظل الإسلام
دار الفكر العربي الطبعة الأولى ١٩٨٢

٣٨ ـ أبو علامة: عز الدين محمد بن عبد الله بن علي الحسين (ت: ١٠٤٤ هـ)
التحفة العنبرية في المجددين من أبناء خير البرية ـ مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع

الكبير بصنعاء رقم (٥٧ تاريخ).
٣٩ ـ العلوي: صالح حامد:
تاريخ حضرموت (الجزء الأول) ـ مكتبة الإرشاد ـ جدة ١٣٦٦ هـ.
٤٠ ـ علي بن محمد: العلوي
سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين تحقيق: د. سهيل زكار ـ دار الفكر بيروت ـ الطبعة الثانية ١٩٨١.
٤١ ـ علي بن محمد: الوليد
تاج العقائد ومعدن الفوائد ـ تحقيق: عارف تامر ـ دار المشرق ـ بيروت.
٤٢ ـ ــــــــ: كتاب الذخيرة في الحقيقة ـ تحقيق: محمد حسن الأعظمي ـ دار الثقافة بيروت.
٤٣ ـ علي محمد زيد: معتزلة اليمن ـ طبعة مركز الدراسات والبحوث اليمنى بصنعاء ـ الطبعة الأولى ١٩٨١.
٤٤ ـ عوض محمد خليفات: (دكتور)
نشأة الحركة الأباضية ـ مطابع دار الشعب عمان ١٩٧٨.
٤٥ ـ عمارة: نجم الدين بن أبي الحسن على الحكمي اليمني (ت: ٥٦٩ هـ)
تاريخ اليمن ـ تحقيق: د. حسن سليمان محمود ـ نشر: مكتبة مصر القاهرة ١٩٥٧.
٤٦ ـ فاروق عمر: (دكتور)
طبيعة الدعوة العباسية ـ دار الإرشاد بيروت ـ طبعة الأولى ١٩٧٠.
٤٧ ـ الكبسي: محمد بن إسماعيل الكبسي الصنعانى
اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية ـ مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٨٤.
٤٨ ـ الكرماني: أحمد حميد الدين الكرماني (ت: بعد سنة ٤٠٨ هـ)
الرسالة الوضية في معالم الدين وأصوله ـ تحقيق: الدكتور محمد عيسى الحريري ـ دار القلم الكويت ـ الطبعة الأولى ١٩٨٧.
٤٩ ـ ابن المجاور: جمال الدين أبو الفتوح يوسف يعقوب
صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز (تاريخ المستبصر) ـ تحقيق: أوسكر لوفغرين ـ ليدن ـ مطبعة بريل ١٩٥١.
٥٠ ـ مجهول: أخبار الدولة العباسية ـ تحقيق: دكتور عبد العزيز الدوري، د. عبد الجبار المطلبي ـ دار الطليعة بيروت ١٩٧١.

٥١ ـ المحلي: أبو الحسن حسام الدين حميد بن أحمد المحلي (ت / ٦٥٢ م)
الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية صورة بالأوفست ـ الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ.
٥٢ ـ محمد أمين صالح: (دكتور)
تاريخ اليمن الإسلامي ـ مطبعة الكيلاني ـ الطبعة الأولى ١٩٧٥.
٥٣ ـ محمد جمال الدين سرور: (دكتور)
سياسة الفاطميين الخارجية ـ دار الفكر العربي ـ ١٩٧٦.
٥٤ ـ محمد عيسى الحريري: (دكتور)
مقدمات البناء السياسي للمغرب الإسلامي ـ دار القلم الكويت الطبعة الثانية ١٩٨٣.
٥٥ ـ ـــــــ: معالم التطور السياسي في دولة بني نجاح باليمن ـ دار القلم الكويت ـ ١٩٨٤.
٥٦ ـ محمد كامل حسين: (دكتور)
طائفة الإسماعيلية ـ مكتبة النهضة المصرية الطبعة الأولى ١٩٥٩.
٥٧ ـ ـــــــ: سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة ـ دار الكتاب المصري، ١٩٤٩.
٥٨ ـ مسلم اللحجي: مسلم بن محمد بن جعفر اللحجي (ت: ٥٤٥ هـ)
تاريخ مسلم اللحجي المسمى (أخبار الأئمة من أهل البيت وشيعتهم باليمن) ـ الجزء الرابع نسخة خاصة بالباحث حصلت عليها عن طريق الزميل الدكتور عبد الرحمٰن عبد الواحد شجاع.
٥٩ ـ مسلم اللحجي: كتاب فيه شيء من أخبار الزيدية باليمن ـ نسخة خاصة بالباحث حصلت عليها من نفس المصدر.
٦٠ ـ مصطفى غالب: (دكتور)
تاريخ الدعوة الإسماعيلية
دار الأندلس بيروت ـ الطبعة الثالثة ـ ١٩٧٩.
٦١ ـ ـــــــ: الحركات الباطنية في الإسلام ـ دار الأندلس بيروت ـ الطبعة الثانية (١٩٨٢).
٦٢ ـ المقريزي: تقي الدين ـ أحمد بن علي
اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ـ تحقيق: د. جمال الدين الشيال ـ القاهرة ١٩٤٨.
٦٣ ـ نشوان الحميري: أبو سعيد (ت: ٥٧٣ هـ)

الحور العين ـ تحقيق: كمال مصطفى المكتبة اليمنية ـ صنعاء الطبعة الثانية ١٩٨٥.
٦٤ ـ النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٦٧٧ هـ ـ ٧٣٣ هـ)
نهاية الأرب في فنون الأدب ـ تحقيق: على محمد البجاوي. الجزء الحادي والعشرون ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦.
٦٥ ـ ياقوت: شهاب الدين أبي عبد اللّه ياقوت ابن عبد اللّه الحموي (ت: ٦٢٦ هـ) ـ معجم البلدان ـ طبعة دار صادر ـ بيروت.
٦٦ ـ يحيى بن الحسين: ابن القاسم بن محمد بن علي (ت: ١١٠٠ هـ) غاية الأماني في أخبار القطر اليماني تحقيق: د. سعيد عبد الفتاح عاشور دار الكتاب العربي ـ القاهرة ١٢٨٨ هـ/١٩٦٨ م.
٦٧ ـ ـــــــــ: طبقات الزيدية الصغرى
مخطوط ـ نسخة خاصة بالباحث مصورة عن الصورة الموجودة بالمكتبة المركزية بجامعة صنعاء.

المراجع الأجنبية

1 - Geddes, C.L., The Apostasy of Ali b. Al Fadl, (Arabian and Islamic studies, University of cambridge, 1976).

2 - Glubb, J., A short History of the Arab Peoples; (Great Britain, 1978)

3 - Hitti, Ph., History of the Arabs (Hong kong, 1970). ظitl

4 - Lewis, B., the Arabs in History, (Great Britain, 1970).

5 - Stooky, w., Yemen, the politics of yemen Arab Requblic, (Westview press, Boulder colorado, 1978).

فهرست

الاتجاهات المذهبية
في اليمن

حتى نهاية القرن الثالث الهجري
(٦هـ / ٦٢٧م) - (٣٠٠هـ / ٩١٢م)



دكتور محمد عيسى الحريري

الاتجاهات المذهبية في اليمن

عالم الكتب